Princeton University Library
32101 064952235

٤٠/

جماعة العلماء

النجف الأشرف

رسالتنا

منشورات دار الاضواء

٧

Jamā'at al-'Ulamā'...

جماعة العلماء

في النجف الاشرف

رسالتنا

منشورات دار الاضواء

٧

مطبعة النعمان - النجف الاشرف - شارع السراي

(RECAP)
BP161
.J352
1900z

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ
اَلدِّينِ * اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * إِهْدِنَا اَلصِّرَاطَ
اَلْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ اَلَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا اَلضَّالِّينَ

32101 022425415

الأضواء

نشرة اسلامية عامة

تشرف عليها اللجنة التوجيهية لجماعة العلماء

رسالتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ۝ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ۝ قرآن كريم

ان الشرط الاساسي لنهضة الامة - أي امة كانت ان يتوفر لديها (المبدأ) الصالح الذي يحدد لها اهدافها ، وغاياتها ، ويضع لها مثلها العليا ، ويرسم اتجاهها في الحياة ، فتسير في ضوئه واثقة من رسالتها مطمئنة الى طريقها متطلعة الى ما تستهدفه من مثل ، وغايات مستوحية من المبدإ وجودها الفكري ، وكيانها الروحي . ونحن نعني بتوفر المبدإ

الصالح في الأمة وجود المبدإ الصحيح (اولا) وفهم الامة له (ثانياً) وايمانها به (ثالثاً) فاذا استجمعت الامة هذه العناصر الثلاثة فكان لديها مبدا صحيح تفهمه ، وتؤمن به اصبح بامكانها ان تحقق لنفسها نهضة حقيقية ، وان توجد التغيير الشامل الكامل في حياتها على اساس ذلك المبدا فما ، كان الله ليغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم كما دل على ذلك التنزيل الحكيم .

وامتنا الاسلامية الكريمة لا تفقد في الحقيقة من عناصر الشرط الاساسي لنهضتها البناءة إلا واحداً منها فالمبدا موجود لديها متمثل في دينها الاسلامي العظيم الذي لا يزال ، وسيبقى ابد الدهر اقوى ما يكون على تحمل اعباء القيادة المبدئية ، وتوجيه الامة وجهتها المثلى ، والارتفاع بها من نكستها الى مركزها الوسطي من امم الارض جميعاً كما شاء الله لها ، والامة الاسلامية كلها مجمعة على الايمان بهذا المبدا ، وتقديسه ديناً وعقيدة غير ان هذا الايمان ضعيف في الغالب ، ومحدود لدى كثير من الاشخاص ، واكبر سبب في ذلك عدم امتلاك الامة بصورة عامة ، وغالبية العنصر الثالث وهو فهم المبدا ، فالامة تؤمن بالمبدا الاسلامي ايماناً اجماعياً ولكنها لا تفهمه فهما اجماعياً وهذا هو التناقض الذي قد يبدو غريباً لأول وهلة فكيف تؤمن الأمة بالمبدا وتدين له بالولاء وهي لا تفهمه حق الفهم ولا تعرف من مفاهيمه واحكامه وحقائقه

إلا نزراً يسيراً ولكن هذا هو الواقع الذي تعيشه الامة منذ منيت بالمؤامرات الدنيئة المستترة تارة والسافرة اخرى من ابناء الصليبيين المستعمرين اعداء الاسلام التاريخيين تلك المؤامرات الهائلة التي شنوها على الامة وكيانها حتى انتهت بالغزو الاستعماري المسلح فلم يكن للغزاة من هم بعد القضاء على كيان الاسلام الدولي إلا ان يباعدوا بين الامة ومبدئها وقامت عملية الفصل هذه بين الامة والمبدإ على قدم وساق وهي تعني سلب الامة ايمانها بالمبدإ وفهمها له ولكن لما كان ايمان الامة بالاسلام اقوى من تلك المؤامرات والمخططات الاستعمارية جميعاً استطاع ان يثبت وينتصر في المعركة فظلت الامة محتفظة بايمانها باسلامها العظيم واما فهم الامة للمبدا ومفاهيمه وحقائقه فقد كان هو نقطة الضعف التي نجحت فيها عملية الفصل بين الامة والمبدإ فقد استعمل الغزاة الآثمون كل الطرق والاساليب للقضاء على وعي الاسلام من ذهنية الامة وحجب اضوائه وانواره عنها بما نثروه هنا وهناك من مفاهيمهم وافكارهم وتشويهاتهم للاسلام المشرق العظيم وهكذا اصبحت الامة بعد ان نفذ اعداؤها فيها مخططهم الفظيع وهي لا تعرف من الاسلام شيئاً واضحاً محدداً او تعرف ما زوره المستعمرون من افكاره وحقائقه وبهذه الطريقة وجد التناقض العجيب في كيانها فاضحت لا تفهم الاسلام فهما صحيحاً كاملا بالرغم من انها ظلت باقية على ايمانها به

وبطبيعة الحال ان انخفاض الوعي وحجب الصور الحقيقية الزاهية للإسلام عن الانظار كان سبباً في انخفاض الدرجة المعنوية للايمان نفسه وفقدانه لكثير من طاقاته الحرارية الجبارة ، فمسألة الامة اليوم - وهي تملك المبدأ الصحيح وتؤمن به - ان تقبل على تفهم اسلامها ، ووعي حقائقه واستجلاء كنوزه الخالدة ليملأ الاسلام كيان الامة ، وافكارها ويكون محركا حقيقياً لها ، وقائداً امينا الى نهضة حقيقية شاملة فالفهم العام للمبدإ الاسلامي إذن هو ضرورة الامة بالفعل التي تستكمل الامة به الشرط الاساسي لنهضتها .

وليست هذه (الاضواء) إلا اشعاعة من نور الاسلام الوهاج حاولنا أن تنير للامة ، وتكشف عن شيء من كنوز الاسلام ، وتعكس انواره على ما يتماوج به واقع الامة من أفكار ، واحداث وهي جزء من حركة فكرية شاملة ندعو المصلحين ، والقادة الاسلاميين الى ايجادها والتوفر على تنميتها ، وتغذيتها لتعرف الامة طريقها السوي ، وتفهم كيف تفتح الدنيا بالمفتاح الالهي الذي أهملته طوال هذه السنين .

وسوف تعني الأضواء :

اولا : بنشر مفاهيم الاسلام واحكامه والتأكيد على روعتها وتفوقها على سائر المبادىء الاخرى التي ارتجلتها عقول انسانية ناقصة محدودة ، فجاءت وهي تختلف عن الاسلام في عمقه ، وشموله وكماله كما

يختلف الانسان الناقص المحدود عن الخالق العليم الحكيم .

وتهتم الاضواء في الغالب بان تكون الثقافة الاسلامية التي تقدمها على صفحاتها واضحة في أفكارها سهلة في عبارتها خالية من التعقيد والغموض لتكون في متناول الاكثرية الكاثرة من افراد الامة الكريمة لأن هذه الاكثرية هي القوى الجبارة التي يعتمد عليها الاسلام ويجب تجنيدها له فى معركته مع الكفر .

وثانياً : بتسليط اضواء الاسلام على بعض جوانب الواقع وأحداثه ليتضح بكل جلاء مدى المناقضة بين الاسلام في امانته ودقة معالجته وصدق وعده وبين الواقع السيء الذى يعيشه المسلمون ،

وثالثا : بفسح المجال لتقبل مختلف الاسئلة التي تدور حول الاسلام والجواب عليها بما يبرز كلمة الاسلام عالية واضحة تزول عندها كل الشكوك والشبهات وتنحل كل مشكلة وكل تعقيد .

ونسأل الله تعالى أن يوفق الاضواء الى تحقيق رسالتها والسير فى طريقها اللاحب المستقيم وهو ولي التوفيق .

ـ ـ الثنا والرعاة

ان للرسالة الاسلامية خصائص ومميزات فى كل الحقول والميادين تبرهن على انها اكفأ الرسالات واجدرها بالدعوة والنجاح والخلود . ومن تلك الميادين التي تبرز فيها خصائص الرسالة الاسلامية قوية رائعة الميدان العملي ميدان الدعوة وحمل لواء الرسالة فان الدعوة الى الرسالة الاسلامية تمتاز على اكثر الدعوات الى مختلف الرسالات الاخرى بانها تستمد من الرسالة نفسها وطبيعتها الخاصة عناصر قوتها وشروط نجاحها ومقوماتها الروحية فى مجال الجهاد والكفاح . فالرسالة الاسلامية تمون الدعوة بهذه العناصر والشروط والمقومات بما لا يمكن لرسالة اخرى ان تقوم بذلك ولهذا تضطر كثير من الدعوات ان تستجدي بعض تلك المقومات الروحية من جهات اخرى غير رسالاتها التي تتبناها وتحمل رايتها .

واهم تلك المقومات الروحية التى تحتاجها كل دعوة ذات رسالة مهما كان لونها هي :

أولا : العقائدية التي تسبغ على الرسالة في نظر الدعوة طابعاً تقديسياً يقينياً ، فبقدار ما يرسخ هذا الطابع التقديسي اليقيني في نفوس الدعاة ، تزداد اندفاعاتهم وتتضاعف طاقاتهم ولذلك يجهد قادة كل دعوة ان يضفوا على الرسالة التي يحملونها لوناً من التقديس العميق ويغذوا في نفوس الدعاة اليقين المطلق ، وغير المحدود بصحة الرسالة وتفوقها على كل نقاش ، وجدال ، ليتولد من هذا الايمان اليقيني طاقة حرارية دافعة في مجال العمل والتبشير .

ومن الواضح ان طبيعة الرسالة الاسلامية تكون لها هذا الطابع في نفوس الدعاة ، لأنها ليست نتيجة اجتهاد معين يكون عرضة للخطأ أو حصيلة تجارب محدودة قد لا تصور الواقع تصويراً كاملا ، وانما هي الرسالة الخاتمة التي اصطفاها الله سبحانه للانسانية ، وبعث بها خاتم رسله صلى الله عليه وآله فهي مع كونها مذهباً للحياة ، والمجتمع تتمتع بالطابع الديني الذي يحيطها بالتقديس ، واليقين المطلق . وهذا هو الفارق بينها وبين سائر مذاهب الحياة التي لا تصل في عقيدة اصحابها الى درجة الدين ، ولا تحظى بما يحظى به الدين لدى المتدينين من يقينية مطلقة . وفي ضوء هذا الفرق يتبين السر في ما نطالعه من صلابة عقائدية في حملة رسالة الدين المخلصين وميوعة أو انخفاض عقائدي في حملة الرسالات الفكرية الاخرى بالرغم من نبوغهم وعبقريتهم ،

فليس عجيباً مثلا ان نرى ماركس وهو منشىء مذهب ودعوة من اشهر مذاهب التاريخ ودعواته يقول « انني لست ماركسياً » بينما يقول داعية مسلم كعلي (ع) « لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقيناً » ، فان عقيدة علي (ع) كانت ديناً . ومن طبيعة الدين أن يشع في نفوس رجاله المخلصين بهذا اليقين ، ويكتسب هذه العقائدية المطلقة ، واما الماركسية فلم تكن ـ على ابعد تقدير ـ إلا اجتهاداً علمياً خاصاً . ولذلك لم تستطع ان تجعل من ماركس نفسه ماركسياً ، ولم تستطيع بعد ذلك ان تكتسب الصفة القطعية ، والقدسية العقائدية إلا بعد ان لعب الماركسيون دوراً كبيراً في رفع الماركسية الى مستوى دين في عقائديته وقدسيته . وهكذا نعرف ان الامتياز الديني للرسالة الاسلامية يجعلها قادرة على خلق جو عقائدي كامل في اجواء الدعوة .

وثانياً الامل ، فان الامل هو بصيص النور الذي لا تستغني عنه كل الدعوات ، واذا فقدت الدعوة أملها في الفوز ، والنجاح ، فقدت وجودها ، ومعناها الحقيقي ، لأن الدعوة الى ما لا أمل في تحقيقه ضرب من العبث ، واللهو . ولهذا كان لابد لمختلف الدعوات ان تفتش عن هذا الامل ، وتغذيه في ضوء الظروف ، والاحداث ، وان تتصيده من الظروف والاحداث نفسها ، واما الدعوة الى الرسالة الاسلامية فهي وان كانت تعتمد في آمالها على الظروف والملابسات

ولكنها تعتمد قبل ذلك على الامل الذي تزودها به طبيعة الرسالة الاسلامية نفسها ، فان هذه الرسالة تفتح بنفسها للدعاة أجواء من الامل وتقوي من عزيمتهم ورجائهم . ولا أدل على ان الدعاة الاسلاميين يقتبسون أملهم من الرسالة نفسها قبل ان يستوحوه من الظروف والاحداث أن الطليعة الاسلامية التى عاصرت محنة الاسلام في مكة وهو يومئذ وليد ضعيف قد تجمعت القوى على سحقه وتألب الاعداء على خنقه كانت هذه الطليعة تهتز أملا بل يقينا بتهديم عروش الظلم كل العروش وانقاذ بلاد كسرى وقيصر من كسرى وقيصر . ولا نبالغ اذا قلنا إن هذا الامل الحي القوي من اكبر القوى المعنوية التى كان يتمتع بها اولئك المسلمون ويستعينون بها على الصبر والاستبسال في المحنة ولم يكن من الممكن أن يخلق هذا الامل فى نفوس الدعاة شيء رسالة لها طبيعة الرسالة الاسلامية وطابعها الالهي اليقيني ومددها الروحي والمعنوي فلم يكن المسلم ليستهين أو يضعف امام الشدائد وبيده مشعل السماء ومن ورائه الوعود الالهية بالنصر والتأييد . ولا زالت ـ حتى الآن الرسالة الاسلامية ـ كما كانت ـ قادرة على بعث الامل في نفوس الدعاة بل هي تبعثه فعلا بما يشع في نصوصها القرآنية والنبوية من وعد بالنصر إذا خلصت النية واحكمت الخطة على أساس الاسلام .

وثالثا : الدافع الذاتي فان الانسان العادي مهما تصل به دوافعه

المثالية فان للدافع الذاتي اثراً بليغاً فى حياته واندفاعه ومن هنا تنشأ المشكلة في كثير من الدعوات والرسالات لأن الرسالة تتطلب المثالية فى الدوافع وروح التضحية والمفاداة والدعوة تتطلب شيئاً من الدوافع الذاتية التي تزيد من حرارتها وقوتها واندفاعها ولأجل ذلك نجد ان الدعاة كثيراً ما يغرقون بعد زمن قصير أوطويل من دعوتهم أو انتصارهم فى الدوافع الذاتية وتخبو في نفوسهم تلك الدوافع المثالية بالتدريج لتحتل مكانها دوافع الذات وتصبح الرسالة اداة ومبرراً لتلبية هذه الدوافع بعد ان فقدت في نفوس الدعاة دوافعها المثالية واما الاسلام فهو يختلف عن بقية الرسالات فى قدرته على تسخير الدوافع الانانية والمثالية معا لصالحه فان من طبيعة الرسالة الاسلامية اقناع المسلم بان الاخلاص لهذه الرسالة والدعوة اليها والتضحية فى سبيلها مكسب شخصي قبل ان يكون مكسباً مثالياً أو اجتماعياً وربح لجزاء ونعيم لا حدود له قبل أن يكون عاطفة مثالية او اندفاعاً تحمسياً . وهكذا تجند الرسالة الاسلامية جميع الدوافع الانسانية لصالحها وتجعل من الدوافع الأنانية دوافع خيرة تواكب الدوافع المثالية فى مقتضياتها ومتطلباتها فالرسالة الاسلامية إذن :

رسالة عقيدة وايمان رسالة امل ورجاء

ورسالة تجنيد لكل الدوافع والقوى الانسانية .

رسالتنا يجب ان تكون قاعدة للعاطفة

« الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

* * *

الم يأن لهؤلاء الذين اضاء الايمان عقولهم وتمكنت العقيدة من نفوسهم وتبين لهم الحق متجسداً في أشرف رسالات السماء ان يفجر هذا الايمان فى نفوسهم موجاً من العاطفة ويشيع فيها انفعالا خاصاً يتفق مع طبيعة ذلك الايمان وجوهره حتى تمتلىء قلوبهم بالخشوع للحق والانقياد له والانصياع الى اوامره ونواهيه .

بهذا يعلن الاسلام عن ضرورة ازدواج الفكر والعاطفة واجتماع العقيدة وما تتطلبه من الوان الانفعال والاحساس حتى تدب الحياة فى العقيدة وتصبح مصدر حركة وقوة دفع وليست مجرد فكرة عقلية لا يخفق ولا يستجيب لها الحس ولا تتدفق بالحياة .

وهذه هي السياسة العامة للدعوة الاسلامية ، فهي دعوة فكر

وعاطفة أو بالاحرى دعوة الى عقيدة بكل ما تتطلبه من مفاهيم وعواطف وليست دعوة فكرية خالصة تستهدف تطوير العقيدة طبقاً لها ، وتقف عند هذا الحد ، فالمذاهب الفلسفية المجردة ، كما انها ليست في مستوى الدعوات العاطفية المنخفضة التي تستغل العاطفة فحسب وتعني بتربيتها دون أن تقوم على اسس فكرية خاصة بل للدعوة الاسلامية طريقتها الخاصة في مزج الفكرة بالعاطفة ، وتفجير العواطف على أساس فكري وبذلك تبقى محتفظة بالطابع الفكري بالرغم من اهتمامها بالجانب العاطفي وتنميته في الشخصية الاسلامية لأنها تستوحي كل عاطفة من مفهوم معين من مفاهيمها عن الحياة ، والكون ، والانسان .

فالعواطف الاسلامية دائماً نتيجة المفاهيم والافكار الاسلامية وانعكاسات انفعالية لها . ولهذا نجد أن الاسلام يهيء كل عقيدة من عقائده وكل مفهوم من مفاهيمه ليكون ينبوعا لعاطفة خاصة تنسجم مع ذلك المفهوم أو تلك العقيدة وتتفق واياها ، كما وجدنا في الآية الكريمة كيف ربط بين الايمان بالشريعة الحقة والخشوع لها هذا الخشوع الذي هو لون من الانفعال العاطفي يتطلبه ذلك الايمان ويصبح بدونه مجرداً عن أية فعالية ايجابية .

والسبب في هذا الربط بين المفاهيم والعواطف في الاسلام واضح كل الوضوح ، لأن الاسلام لا يريد المفاهيم والافكار بمعزل عن العمل

والتطبيق ، وانما يريدها قوى دافعة لبناء حياة كاملة فى إطارها وضمن حدودها ، ومن الواضح ان الافكار والمفاهيم لا تصبح كذلك إلا حين تتخذ اشكالا عاطفية ، وحين تخلق الانفعالات التي تناسبها والعواطف التي تساندها ، لتتخذ هذه العواطف موقفاً ايجابياً في توجيه الحياة العملية والسلوك العام فمفهوم المساواة ـ مثلا ـ الذي هو من اهم المفاهيم التي بشر بها الاسلام ، لا يمكن ان يثمر في الحقل العملي الثمر المطلوب ما لم تنبثق من هذا المفهوم عاطفة كعاطفة الاخوة العامة التي عمل الاسلام لايجادها فى نفس المسلم وربطها بمفهومه الخاص عن المساواة ليصاغ المفهوم فى شعور عاطفي دفاق قادر على الحركة والتوجيه طبقاً لمتطلبات المفهوم .

وعلى ضوء ذلك نستطيع ان نرتب ما يلي :

اولا : ان العقيدة الاسلامية كما يجب ان تكون قاعدة فكرية للشخصية الاسلامية وحجر الزاوية فى تفكيرنا ومفاهيمنا طبقاً لما اوضحناه في العدد السابق ، كذلك يجب ان تكون قاعدة للعواطف التي تنشأ عليها الشخصية الاسلامية ، وتنمي فيها بمختلف الوسائل والاساليب لأن العواطف التي يرتضيها الاسلام للمسلم هي العواطف الفكرية اي العواطف التي ترتكز على مفاهيم فكرية معينة ،

وحيث ان الاسلام هو القاعدة الاساسية للمفاهيم الفكرية التى

تتكون منها العقلية الاسلامية كان من نتيجة ذلك طبيعياً ان يكون هو القاعدة والينبوع الاساسي لأعمق العواطف التى تتكون منها النفسية الاسلامية ، وبمقدار ما تكون الرسالة أكثر عمقاً وتركزاً فى موضعها الرئيسي من عواطف المسلم ترتفع شخصيته النفسية ، ويكتمل طابعه الاسلامي ، كما ترتفع شخصيته الفكرية ويكتمل طابعه الاسلامي بمقدار وجود القاعدة الاسلامية وتمركزها فيها .

وقد عبر القرآن الكريم تعبيراً رائعاً عن العقيدة الاسلامية بصفتها الينبوع الأساسي لأعمق العواطف في النفسية الاسلامية اذ قال (قل ان كان آباؤكم ، وابناؤكم واخوانكم ، وازواجكم ، وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين) .

فالعقيدة الاسلامية بالله الرحمن الرحيم العلي القدير ينبغي ان تكون فى نظر الاسلام ينبوعاً لأعمق العواطف فى نفس المسلم ، لعاطفة الحب العميق لله ولرسوله ولرسالته التي تسمو على كل عاطفة وتهون في سبيلها كل العلائق ، علائق الأبوة ، والبنوة والاخوة والزوجية والعشيرة وعلائق المال والتجارة والسكن ويقوم على اساسها التقدير العاطفي لكل موقف ولكل واقع .

وثانياً ان الطريقة العامة للاسلام لما كانت قائمة على مزج الفكرة بالعاطفة جاز للدعوة الاسلامية ان تمزج الفكرة بالعاطفة في تبشيرها ووسائلها وان تعتبر العواطف الموجودة في المجتمع التي تساعدها على انجاح سياستها . من القوى التى تتملكها في سبيل التبشير ولكن شريطة ان يتوفر في تلك العواطف الطابع الاسلامى بان تكون قائمة على مفاهيم فكرية معينة تتفق ووجهة نظر الاسلام العامة .

واما العواطف السطحية المائعة التى لا تستند الى مفهوم والتى يثيرها الاحساس اكثر مما يثيرها الفكر فليس من الصحيح للدعوة ان ترتكز على هذه العواطف لأن انتشار هذه العواطف المنخفضة الذي يؤدي الى سيطرتها في المجتمع يشكل خطراً على الدعوات الفكرية التي تحاول الارتفاع بذهنية الامة الى المستوى الفكري والتسامى بها عن المشاعر المرتجلة والاحاسيس الساذجة .

واكثر من تلك العواطف السطحية خطراً العواطف التى تستمد جذورها النفسية من مفاهيم فكرية تتعارض مع مفاهيم الدعوة وإن امكن للدعوة ان تجند تلك العواطف في سبيل الوصول الى هدف معين وتحطيم قوة معارضة في الميدان او ان تستخدمها وتستثمرها الى فترة معينة كما تفعل بعض الدعوات التي تتستر في كثير من مراحلها بواجهات تستهوي عواطف الناس بالرغم من مناقضة مفاهيمها لتلك

العواطف فهي لا تنظر اليها إلا كممر الى هدفها الأصيل ولا تبالي في سبيل ذلك بنوعية العواطف التى تستخدمها ، ولا بجذورها الفكرية في المجتمع . ان دعوة فكرية كالدعوة الاسلامية التى تستهدف قبل كل شيء امتلاك واقع الامة العقلي والنفسي وصبه فى قالبها الفكري والعاطفي لا يمكنها بحال من الاحوال ان تنتهز العواطف التي تقوم على غير مفاهيمها وتستغل تلك العواطف فى سبيل مصلحتها فتواكبها الى نصف الطريق لأن في مواكبتها مساندة للواقع الفاسد الذي لم تقم الدعوة إلا لتغييره وقلبه .

وعلى هذا فالسياسة العامة للدعوة الاسلامية تجاه العواطف الموجودة في الامة هي استثمار ما كان منها اسلامياً لحساب الرسالة والدفع بها الى الامام فى معركتها مع الكفر القائمة في كل مكان ، والتعالي بالامة عن العواطف المنخفضة وكنس ما يوجد لديها من عواطف ذات طابع فكري معارض للاسلام ، وتبديلها بعواطف صحيحة تدور فى فلك الرسالة الاسلامية . وبكلمة واحدة ان الدعوة تحاول ان تربط دائماً بين المفاهيم والعواطف وتفجر في نفسية الامة العواطف التي يتوخاها الاسلام من تلك المفاهيم .

ويقاس مقدار نجاحها في الحقل الفكري بمدى تغلغل مفاهيمها في فكر الامة ، وفي المجال النفسي بمدى انسجام عواطف الامة مع

تلك المفاهيم . وبمقدار ما يولد الايمان بالرسالة من عاطفة الحب لها والمفاداة في سبيلها والخشوع لها خشوعاً ينعكس في كل قول وعمل . (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون).

رسالتنا ومعالمها الرئيسية

لكل رسالة معالمها الرئيسية التى تحدد كيانها الخاص وتميزه عن كيانات الرسالات الاخرى . وتختلف الرسالات في هـذه المعـالم تبعا لاختلافها فيما ترتكز عليه من افكار ومفاهيم ، ويمكننا تلخيص المعالم الرئيسية لرسالتنا الاسلامية في الامور الثلاثة الآتية :

اولا : النظرة الروحية الى الحياة ، والكون بصورة عامة ، ولا تعنى الروحية هذه إنكار المعاني المادية للكون او حصر نطـاق الوجود في الروح والروحيات كما يشاء كثير من الكتاب الاوربيين ان يفسروا النظرة الروحية بذلك . فالاسلام يعترف بالحقائق الروحية والمادية معا وانما يربط تلك الحقائق جميعـا بسبب مشترك اعمق وهو الله تعـالى فالنظرة الروحية في جوهرها إذن عبارة عن ادراك صلة الحياة والكون بالله وانبثاقها عن قدرته وتقديره وبهذا المعنى يمكن أن نعتبر الكـون بصورة عامة روحيا لأن تلك الصلة بالمبدع الخلاق ـ صلة الخلق والابداع ـ تشمل المادة كما تشمل الروح وتنفذ الى جميع محتويات الكون وحقائقه .

وليست هذه النظرة الروحية التى تتمثل فيها الحقيقـة الكبرى

للكون نظرية مجردة ، وانما تتصل بالوجود العملي للانسان كل الاتصال وتحدد له موقفه من عالمه الذي يعيشه ، والحياة التي يحياها ، ويستمد الانسان منها ، اوعلى ضوئها اتجاهه العام الذي ينعكس في كل نشاطاته ، وافعاله .

ثانياً : الطريقة العقلية في التفكير ، إذ توجد طريقتان للتفكير احداها (الطريقة العقلية) التي تعتبر العقل حاكماً نهائياً ومقياساً اساسياً تقاس على ضوئه الافكار ، والمعلومات لامتحان مدى صحتها وموضوعيتها ، والاخرى هي الطريقة (التجريبية) التي تقصى العقل عن هذا المجال وتسلب منه وظيفته الأساسية هذه في الحياة الفكرية ، وتضع موضعه التجربة مدعية انها هي الأساس الوحيد لكل ما يمكن أن يتوصل اليه الانسان من حقائق واستنتاجات .

والواقع ان كلا من العقليين ، والتجريبين وقع فى خطأ كانت له اسوأ النتائج . فالعقليون الذين نادوا بالعقل مقياسا للحقيقة لم يطبقوا عمليا هذا المقياس فحسب ، وانما افرطوا فحصروا بحوثهم في النطاق العقلي ، وكلفوا العقل المجرد ان يزودهم بالحقائق والمعلومات حتى في الميادين والمجالات التي ليست من حقه ، وبذلك ضاعت عليهم فرصة الاستفادة من المعين التجريبي وما يتدفق به من حقائق ونتائج ولعل من اوضح الأمثلة لذلك ما شغل بال العقليين قرونا متطاولة من

الزمان ، حين حاولوا ان يتعرفوا على ما اذا كانت المادة متكونة من اجزاء وذرات يتخللها الفراغ أو متصلة اتصالا حقيقيا لا فراغ فيه .

لقد خيل للعقليين انهم يستطيعون ان يصلوا الى الكلمة النهائية فى البحث عن طريق العقل وحده ومنها نشأت النظريتان : (الاتصالية) و (الانفصاليـــة) وقام الصراع بشكل عقلي بحت عنيفا بين هؤلاء واولئك من الاتصاليين والانفصاليين بعيـــداً عن التجربة ووسائلها فلم يصلوا الى نتيجة حاسمة لا لشيء إلا ان العقل بطبيعته حيادي في مثل هذا الموقف وما يشابهه من المواقف التحليلية للكون فهو لا يستطيع ان يدرك بصورة مستقلة عن التجربة ما اذا كان الجسم مؤلفا من ذرات ام لا . ولو ان العقليين انصرفوا الى التجربة واستنطقوها ثم رجعوا الى العقل كمفسر نهائي لظواهر التجربة ونتائجها لوصلوا الى خير كبير هو افضل الف مرة من هذا الجـــدل العقيم وهكذا اخطأ العقليون حين لم يعرفوا ـ عمليا على الاقل ـ ما هي وظائف العقـــل بصفته مقياسا اساسيا للفكر .

وكما اخطأ هؤلاء . اخطأ التجريبيون ايضا الذين اتجهوا اتجاها معاكسا تماما كرد فعل للاتجاه العقلي السابق فامنوا بسلطان التجربة وقدرتها على استكشاف الحقائق والأسرار ـ كل الحقائق والاسرار ـ وظنوا في غمرة من نشوة الظفر بما توصلوا اليه من معلومات تجريبيـــة

انهم استغنوا عن خدمات العقـل بل ليس هناك ـ لدى كثير من التجريبيين ـ شيء اسمه العقل لانه مما لم تكشف عنه التجربة بعـد ! ! وكان من نتائج ذلك ان تحرر كثير من انصار التجربة وشيعتها على كل الحقائق الروحية الخارجة عن نطاق التجربة المعملية وكما خسر العقليون الثروة التجريبية الضخمة خسر التجريبيون الثروة العقلية الروحية الجبارة .

وأما الاسلام فقد وقف من الفريقين الموقف الصحيح ورسم الطريق اللاحب للفكر الانساني الذي يضمن للانسان أفضل النتائج في كل الميادين ويحول بينه وبين الألوان العقيمة من الجدل التي مني بها العقليون كما يحول بينه وبين المادية المسفه التي انتهى اليها التجريبيون . ويتلخص هذا الطريق في أن العقل يجب أن يؤخذ كمقياس للافكار وحاكم فصل نلقي بين يديه المعلومات التي حصل عليها الانسان عن طريق الملاحظة الحسية أو التجربة العمليـــة لينظمها ويستنتج منها ما تنتجه من حقائق مادية أو حقائق خارجة عن حدود المادة (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها . .) (الحج ٢٢ : ٤٦) . فليس السير فى الارض وما يشير اليـه من الوان التأمل التجريبي في حقائقها مغنيا عن العقل وليس العقل مغنيا عن السير في الارض ودراسة حقائقها بالطرق الحسية والتجريبية .

فالاخذ بالتجربة واستثمارها واستنطاقها صحيح كل الصحـة

ولكن شريطة أن لا يلغى العقل ، ولا يحبس الانسان نفسه فى حدود حسه التجريبي ، بل يحكم عقله فيما يحس ويجرب ليستنتج ما وراء التجربة استنتاجا عقليا متسقا .

ثالثا : المقياس العملي العام الذي بشر به الاسلام على اساس نظرته العامة للحياة والكون فما دام الانسان مرتبطا بخالق وهب الحياة وكل محتوياتها ، واطاراتها المادية والمعنوية يجب أن يكون مقياسه فى الحياة هو رضى الله تعالى ، بان يكيف حياته طبقا لرضاه جل شأنه (واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) (آل عمران ٣ : ١٧٤) . وهذا المقياس العملي يشمل جميع الميادين العملية للانسان من فردية او اجتماعية ويشمل مختلف الحقول الاجتماعية من سياسية واقتصادية واخلاقية .

فالاسلام يحتم على الانسان أن يسير فى كل هذه المجالات طبقا لرضى الله سبحانه وتوجيهه . ويمتاز هذا المقياس عن اي مقياس آخر يقدمه فلاسفة الاخلاق عادة بمميزات اساسية ، فهو مقياس من النظرة الروحية العامة الى الحياة والكون وليس مقياسا مرتجلا كما انه يزيل كل تناقض من الصعيد العملي ، على عكس كثير من المقاييس التي يقدمها فلاسفة الاخلاق كاللذة او المنفعة ونحوهما من مفاهيم غائمة أو غير محددة . فان الناس فى المجتمع الواحد يتناقضون في لذاتهم ومنافعهم ،

كما تتناقض المجتمعات البشرية المختلفة في هذه المقاييس ايضا فما كان في منفعة فرد أو مجتمع ، أو كان ملذاً لهما قد يكون مضراً بفرد أو مجتمع آخر او مؤلما . وايمان الانسانية بهذه المقاييس الخلقية الناقصة هو الذي جر عليها كثيراً من ألوان البلاء والقى بها في دوامة من الصراع والنزاع واما حين تأخذ الانسانية بالمقياس العملي الذي ينادي به الاسلام فسوف يزول كل لون من الوان الصراع والتناقض لأن رضى الله تعالى لا يتناقض ولا يختلف .

وبهذا المقياس وحده يمكن إنشاء المجتمع المطمئن المتعاون الذى ان ساده شيء من روح التنافس فانما يوجد هذا التنافس على مقدار ما يحصل عليه الانسان من رضى الله وليس على مقدار ما يكسبه من المصالح الخاصة والمنافع المادية .

رسالتنا يجب ان تكون قاعدة

ان للحضارة الغربية بافكارها ومفاهيمها وكيانها الثقافي عامة قاعدة فكرية تستند اليها وهي (الديمقراطية) او بالاحرى الحريات الرئيسية في المجالات الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية. فان هذه الحريات بمفهومها الحضاري الغربي هي حجر الزاوية في ثقافة الغرب والاطار الفكري الذي تدور في نطاقه الافكار والمفاهيم الغربية عن الانسان والحياة والكون والمجتمع وحتى انه لعب دوراً رئيسيا في تحديد الاتجاه العام لمفكري الغرب فيما يسمونه بالعلوم الانسانية والاجتماعية فلم تستطع البحوث الانسانية لهؤلاء المفكرين ان تتجرد عن تأثير الرسالة التي يعتنقها الباحثون كقاعدة عامة.

وليس تأثر قوانين الاقتصاد السياسي بالحرية الاقتصادية وتأثر الاتجاهات السيكولوجية لبعض مدارس علم النفس التحليلي التي يتزعمها «فرويد» وغيره من اللاشعوريين بالحرية الشخصية إلا من الامثلة الواضحة لما نؤكد عليه من الصلة الوثيقة بين افكار الحضارة الغربية وبين القاعدة الفكرية التي تستند اليها ورسالتها الاجتماعية التي تدعو وتبشر بها.

وكذلك الأمر تماماً فيما يتصل بالحضارة الماركسية التي تنافس الحضارة الرأسمالية في كل الميادين ، فان رسالتها الفكرية التي تدعو الى نظرة مادية معينة تجاه الكون ، والحياة ، والمجتمع ، والتاريخ هي القطب المركزي الذي ينعكس الى حد ـ قصير ، أو طويل ـ في كل المفاهيم والافكار الحضارية التي تتبناها الماركسية ويؤمن بها مفكروها .

ونحن بطبيعة الحال لا نعنى من احتلال الرسالة مركز القاعدة من التفكير في الحضارة الاوربية ، ان الرسالة استطاعت أن تمون المفكر مباشرة بكل ما يحتاجه من مفاهيم ومعارف في كل الحقول والميادين ، الى الدرجة التي تصبح كل معرفة منبثقة عن الرسالة ، ومتفرعة عن القاعدة الرئيسية المفترضة بل الواقع ان وضع الرسالة في الموضع الرئيسي من التفكير الحضاري ، إنما يعني محاولة التوفيق بين جوهر الرسالة وروحها وبين الافكار الحضارية المتبناة . إذ من المنطق ، والطبيعي انه ما دامت الرسالة صحيحة فعليها أن ترفض كل فكرة تتصل بالميادين الانسانية إذا كانت تناقض تلك الرسالة ، فالافكار التي تتكون منها كل حضارة ذات رسالة تخضع لمقاييس تلك الرسالة وتتجنب مناقضتها سواء اكانت مستنبطة منها أم لا .

هذا هو الواقع الذي يتبين بكل وضوح لدى دراسة كل من الكيانين الحضاريين المتصارعين اليوم على مسرح التفكير الاوربي .

وأما موقفنا من هذا الواقع فهو : ـ

أولا : أن نكون على حظ عظيم من الدقة ، والوعى حينما نبحث عن الافكار الاوربية ، لأجل ان نستطيع تعريتها عن اطارها الرسالي ، والتعرف على مدى صلتها بهذا الاطار وتأثرها به .

وهذا هو الموقف الوسط الذي يجب ان يقفه المسلم الواعي من كل تفكير اوربي يتصل ـ من قريب أو بعيد ـ بالحقول التي تعالجها الرسالة وتمتد اليها القاعدة الفكرية ، فليس من الصحيح إغفال هذه الناحية الخطيرة ـ ناحية الصلة بين الفكرة ، والقاعدة ـ ودراسة الفكرة بغض النظر عما قد يكون لها من اطار خاص أو قد يكون فيها من استيحاءات مستمدة من القاعدة الفكرية ، كما يفعل كثير من الباحثين المسلمين اليوم مع أفكار كثير من علماء الاجتماع ، والنفس ، والتاريخ الاوربيين . فان اول نقطة يجب التأكيد منها قبل كل شيء هي البحث عن مدى صلة الفكرة المبحوث عنها بالقاعدة التي ثبت لدينا خطأها ، وعلى ضوء هذه الصلة يجب أن تتركز نظرتنا الى الفكرة والحكم لها او عليها بما نستخلصه من البحث والدراسة .

كما انه ليس من الصحيح ايضاً ما يتجه اليه بعض الدعاة المسلمين من الحكم على كل تفكير اوربي يتصل بالحياة الانسانية بانه خطأ لأنه مستنبط من القاعدة ، وما دامت القاعدة خطأ فما يستنبط منها خطأ

ايضاً ، فان استنباط الفكرة من القاعدة ـ في المجالات النظرية ـ لا يعني انها مستنتجة منها إستنتاجاً ، ومتوقفة في مصيرها على القاعدة نفسها ، وانما يعني ـ كما المعنا اليه ـ ان الفكرة صيغت بالشكل الذي لا يتناقض مع تلك القاعدة ، سواء اكانت مستمدة منها بصورة مباشرة ام لا ، والقاعدة وان كانت خطأ ، ولكن ليس من الضروري في كل فكرة لا تتناقض مع الخطأ ان تكون خطأ .

وثانياً : من واجب المسلمين الواعين ان يجعلوا من الاسلام قاعدة فكرية واطاراً عاماً لكل ما يتبنون من افكار حضارية ومفاهيم عن الكون ، والحياة والانسان ، والمجتمع ولا شك أن العقيدة الدينية نفسها تعني هذا الشيء وتفرضه موجوداً لدى المتدين ، غير ان العقيدة الدينية لما كانت تعيش اليوم في نفوس كثير من الناس مجردة عن وعي حقيقي يسندها نجد ان جمهرة من المسلمين لا يعون المكان الطبيعي الذي يجب ان تحتله رسالتنا الفكرية الأصيلة من التفكير العام .

وليس هذا الفرق الذي نجده بين رسالتنا الاسلامية والرسالات الاوربية في مواضعها من التفكير العام ناشئاً عن طبيعة تلك الرسالة ، وانما هو نتيجة الاختلاف فيما يرافق كل رسالة في ذهنية اصحابها من درجة الوعي والشعور .

ولا نشك ان هذا الاحساس الاليم بالحاجة الى الرسالة البناءة

فى كل الميادين الفكرية ، والعملية ، هـذا الاحساس الذي يسيطر على الامة ، وان هذه اليقظة الخيرة التي بدأت تباشيرها تبدو هنا وهناك ، وأن هذا الموج المعنوي المتزايد الذي بدأ يفجر تياراً من الشعور الاسلامي لا نشك فى ان هذا كله يؤكد ان رسالتنا المقدسة انما بدأت تسير فى طريقها الى مركزها الطبيعي ، الى مركز القاعـدة الفكرية من الذهنية الاسلامية عامة ، وذلك حينما يستأنف المسلمون ايمانهم بالرسالة ايمان وعي لا إيمان تقليد ، وإخلاصهم لها إخلاصاً اصيلا لا اخـلاصاً سطحياً يعتمد على الوراثة ، والبيئة فحسب » .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟ » .

رسالتنا يجب ان تكون قاعدة للوحدة

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

« لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون »

* * *

الوحدة في كل ما يجب ان تكون فيه وحدة شعار من شعارات الاسلام الكبرى التي لا يفتأ يدعو المسلمين الى تحقيقها فى الواقع المعاشي لتكون لهم القوة ، والمنعة ، والغلبة حين يلتحمون مع عدوهم في صراع .

وهذه الوحدة التي دعا الاسلام اتباعه الى تحقيقها تتميز في اصولها وفي مظاهرها عن الوحدة التي تبشر بها الراسمالية الغربية والاشتراكية الماركسية .

فى المجتمعات الراسمالية نجد المجتمع موحداً فى الظاهر ولكن الوحدة فيه تقوم على وحدة المصالح الشخصية والحزبية او الطبقية فاذا حدث ما يهدد مصلحة من هذه المصالح حدث الانشقاق والتصدع وتبين ان الوحدة الظاهرة كانت سرابا خادعاً . واظهر مثل على هذا

« فرنسا » التي تصدعت وحدتها في اخطر ساعة من ساعات وجودها وكانت النهاية هي انهيارها امام الغزو الالماني في ساعات .

وفي المجتمعات التي تدين بالماركسية ، ومن قبلها المجتمعات النازية والفاشية ، نجد المجتمع موحداً في الظاهر ايضاً ولكنها وحدة مفروضة من خارج وحدة تقوم على انكار كل قيمة حقيقية للفرد الانساني ولما له من مجال خاص يجب ان ينمو فيه نمواً حراً يتيح لكافة قواه ان تبدع وتزدهر وحدة تقوم على القسر ولا تقوم على الطواعية والاختيار وحدة يفرضها ارغام الدولة ولا يبعث اليها الشعور النابع من العقل والقلب ومن ثم فمصير وحدة كهذه الى زوال عند اول فرصة تلوح للافراد الذين يتوقون الى تحقيق ذواتهم وكل وحدة لا تنشأ من داخل وحدة مزيفة لا تلبث ان تزول لانها لا واقع لها في نفوس الافراد ان الوحدة الصحيحة هي المعبر عن حاجة نفسية عميقة توشج بين الافراد برباط من الحب والمودة والالفة ولا شيء كالدين يمكن ان يبعث على وحدة من هذا القبيل والوحدة القائمة على الدين هي الوحدة النابعة من القلب الثابتة على الايام الراسخة مهما تنوعت مصالح الافراد والاحزاب والطبقات لانها وحدة تقوم على اصل ثابت عند الجميع مشترك بين الجميع .

وهذه هي الوحدة التي دعا الله ـ تعالى ـ عباده المتقين الى

تحقيقها فهي ليست وحدة المصالح وليست وحدة الارغام وانما هي وحدة تنبع من القلوب المؤمنة بالله ، العاملة لله الداعية الى الله ان الوحدة التي دعا اليها الاسلام هي الوحدة المسايرة لواقع الكائن الانساني انها الوحدة التي تترك للفرد مجاله وشخصيته وتهيء له جميع وسائل النمو والابداع والتفتح وتوازن بين طاقاته فلا تغلب فيه طاقة على طاقة ولا استعداداً على استعداد ، والاسلام يساير الواقع فلا يدعو المسلمين الى الوحدة ثم يترك في صميم الكيان الاجتماعي العناصر التي تهـددها ان يعنى بما يوفر لهذه الوحدة الثبات والديمومة انه ينظم مصالح الافراد والطبقات والمصالح العامة ويوفر لها الانسجام والتناغم فلا تتصادم فتؤدي بالمجتمع الى التصدع والانحلال .

انه يعني بكل ذلك ، ويهيء له الحلول العادلة الصحيحة ثم يدعو الى الوحدة ، وهذه الوحدة النابعة من القلوب ليست مظهراً للمسلمين وحدهم وانما هي مظهر لكل المؤمنين المصدقين برسالات السماء .

* * *

وقد تحققت هذه الوحدة بين المسلمين في اروع مظاهرها على عهد رسول الله (ص) وعمل سادة المسلمين وعلى رأسهم امير المؤمنين علي عليه السلام على الاحتفاظ بها بعـد رسول الله (ص) ما وسعهم وبها تحققت للمسلمين الغلبة على اعدائهم الكثر . وقد كان اعـداؤهم

على خلافهم فى ذلك كانوا متفرق النفوس ، موزعي القلوب كل نفس لها غاية وكل قلب له هوى ، ومن هنا هون الله من شأن اليهود ـ اعداء الاسلام التقليديين ـ حين كشف عن ضعفهم الناشىء عن تفرق بقوله تعالى : « بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى . . » اما المسلمون فكانوا كما قال تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله كأنهم بنيان مرصوص » مرصوص فى مظهره ، مرصوص فى معناه توحده وتلاحم بين اجزائه النظرة الواحدة الى الكون والحياة والانسان ، والفكرة الواحدة عن الوسائل والاهداف .

* * *

ولكن واقع المسلمين الزاهر الباهر تغير حين تغير المسلمون بعدوا عن الاسلام وتوزعت قلوبهم وعقولهم دعوات اخرى غير الاسلام واستأثرت بنشاطهم غير اهداف الاسلام . « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

واليوم يواجه الوجود الاسلامي فى العالم واقعاً كالحاً واقع الاستعمار والصليبية الحاقدة والنزعات المادية الالحادية يواجههم وهم متفرقون ، متفرقون على كل صعيد .

الدعوات الضالة المضلة تتوزع ناشئتهم وتبعدها عن الاسلام . والافكار والتصورات الوثنية تقيم الحواجز الفكرية والعاطفية فيما بينهم

فقد افلح الاستعمار في ان يقيم الحياة المعاصرة في كثير من المجتمعات الاسلامية على اصول فكرية وعاطفية ترجع الى عهد سابق على اسلام هذه المجتمعات . لقد احيا الشخصية الوثنية الجاهلية القديمة لكثير من مجتمعات المسلمين و بذلك حال بين هذه المجتمعات و بين ان تلتقى على الاسلام وفتت وحدة المسلمين حين وجه قلوبهم وعقولهم نحو اهداف الاسلام .

* * *

واليوم وهذه حالة المسلمين فى تفرقهم وتشتتهم وتوزع عقولهم وقلوبهم ، تقوم في قلب العالم الاسلامي فى فلسطين جماعات من الناس لا يجمع بينها وطن ولا لغة ، ولا ثقافة . ولا عادات . ولا تقاليد ، شراذم تجمعت من قارات الدنيا كلها تريد ان تبنى لنفسها وجوداً مستقلا ، كياناً متميزاً يقوم على وحدة الدين ولا شيء غير الدين . ولذلك فهي تطبع كل مظهر من مظاهر وجودها بهذا الدين لتبرز هذا العنصر المشترك بينها وتقيم وجودها عليه .

هؤلاء هم اليهود ، وهم ماضون فى تجربتهم هذه ، مصرون عليها .

هذه التجربة التي يقوم بها يهود اليوم تحت سمع المسلمين وبصرهم وفي بلد من بلاد المسلمين اغتصبوه واعانهم على ذلك أعداء الاسلام والمسلمين هذه التجربة تضع المسلمين وجهاً لوجه امام قضية وجودهم

كمسلمين ومصيرهم كمسلمين . انهم اذا لم يركزوا وجودهم المعاصر على الاسلام ولم يستلهموه فى حل مشاكلهم ولم يتبعوا مبادئه في حياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم ومع غير المسلمين فسيبقون لقمة سائغة لكل طامع وهدفا سهل المنال لكل مستعمر غاشم ولئن تخلصوا من ذلك كله بما سيكون لهم من قوى مادية متفوقة فستحطم وجودهم وتسمم حياتهم وتصيبهم بالوان من البلاء الآفات التي تعاني منها المجتمعات غير المسلمة في العصر الحديث

فعلى المسلمين ان يعوا ان خلاصهم الوحيد بالاسلام .

« كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ـ ١ ـ

للامة المسلمة ملامح تفردت بها من بين سائر الامم التي صنعت تاريخ كوكبنا هذا .

فهي امة لا تقوم على وحدة العنصر والدم لانها تحتضن كل العناصر والسلالات .

ولا تقوم على وحدة الموقع الجغرافي لافرادها فقد كان افرادها ولا يزالون من جميع الاوطان .

ولا تقوم على وحدة اللغة فقد ضمت صنوفا من الناس ذوي لغات شتى .

انها لا تستمد مقومات وجودها من اكثر ما تواضع الناس على ادخاله في معنى الامـــة ، واعتباره مقوما لها ، وركنا أصيلا فيها وانما تقوم على اصل واحد كبير هو وحدة العقيدة ووحدة الايمان وحـــدة

العقيدة الشاملة الجامعة لما عظم وهان من شؤون الانسان في الدنيا والآخرة جميعاً ، ووحدة الايمان بهذه العقيدة ، الايمان الذي يقرب بين البعيد والبعيد حتى لكأنهما اخوان لأن وحدة الوسائل والغايات ووحدة المطامح والآمال ، ووحدة السلوك هي التي آخت بين القلب والقلب وواشجت بين الروح والروح .

وهذا ما جعلها امة فريدة في التاريخ . فهي امة « اخرجت للناس » بعد أن لم تكن فيهم ، أخرجت إخراجا وصنعت صنعاً صنعت على عين الله بما رسم من حدود وما شرع من أحكام وصيغت ملامحها وفق حدود الله واحكامه التي اكسبتها معنى الامة يوم لاحمت بين افرادها ، وواءمت بين عناصرها ووحدت بين وسائلها واهدافها .

وهي امة (أخرجت للناس) فلم تكن (فى) الناس ككثير من الامم همها أن تصون ذاتها من الاخطار وان تكسب لنفسها الرخاء والدعة والامن وان حاق بالعالم الدمار .

ولم تكن امة اخرجت (على الناس) بلاءاً وسوط عذاب تهلك الحرث والنسل ولا تؤمن إلا بشريعة الغاب وانما هي امة (اخرجت للناس) رحمة وبشير خلاص وعامل ازدهار للبشرية جمعاء . ومن هنا كانت خير امة أخرجت للناس وستكون خير امة اخرجت للناس ما اخذت نفسها بالسير وفق الاسلام العقيدة التي صاغت وجودها بعد

ان لم يكن لها وجود .

- ٢ -

وإذن فكونها خير امة نابع من رسالتها الى سائر الامم رسالتها التي هي مصدر عظمتها وشقائها .

مصدر عظمتها حين تضطلع بمهمتها الكبرى فتعمل - وفق احكام الله - لاداء هذه الرسالة ومصدر شقائها حين تنحرف وتزيغ وتمزقها الاهواء فتقعد عن القيام بدورها و بذلك تفقد مبرر وجودها الوحيد

* * *

وفي عالمنا أمم كثـــيرة تدعي ان لها رسالة ولكن شتان بين رسالة ورسالة ،

كان الانسان الاوربي فى عصر الاستعمار يدعي انه إنسان ذو رسالة هي (عبء الرجل الابيض) وقد مارس الانسان الاوربي رسالته فاسترق وجوع وسد منافذ العلم والحضارة عمن تسلط عليهم من الناس وخلف عالماً يئن من الجور والطغيان والعذاب عالماً تمزقه البغضاء والحروب وأخطار الحروب .

أما رسالة الامة المسلمـة فهي نموذج آخر من الرسالات نموذج فذ لم يقدر لأمة من امم الارض أن تضطلع بمثله ذلك لأن رسالة الامة المسلمة الى العالم هي رسالة الاسلام اليه .

وهي في كلمات : رسالة الحرية والعلم والحضارة والرخاء الى كل إنسان.

وقد حمل المسلمون الأولون رسالة الاسلام هذه الى عالم الامس الذي انحلت فيه القيم وضمرت واستبدت فيه الغرائز بالناس وعملت عملها الخطير في تقويض الاجتماع الانساني فاحالته الى معترك تناحري فضيع فحققوا ـ في حدود ما استطاعوا ـ رسالة الاسلام وقدموا نموذجا للانسان جديداً متكامل الشخصية مفعماً بالامل الير الخير ماضياً في السبيل الذي يحقق له السمو والنبل وقدموا نموذجا للمجتمع رائعاً ، مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

والاسلام مدعو لأن يؤدي رسالته العظمى في عالم اليوم فالاسلام وحده هو الكفيل باخراج الانسان المعاصر من ازمته التي تردده الى الدمار وهو الكفيل بصياغته من جديد وإحلال التوازن في كيانه الذي مزقته الدعوات والفلسفات المجافية لفطرة الله المعاندة لكلمة الله وهو الكفيل بتحريره من جميع عبودياته : الفكرية والاجتماعية والمادية .

ولكن المسلمين لا يستطيعون ان يؤدوا رسالة الاسلام الى عالم اليوم كما أدوها الى عالم الامس فانفذوا وحرروا وصنعوا المعجزات .

لأن القائم باداء رسالة يجب أن يحياها وقد حمل المسلمون الاولون رسالة الاسلام وادوها ما اسعفتهم قواهم وكانوا جديرين بحملها واداءها

لانهم كانوا يحيون الاسلام افراداً وجماعات ، وكان كل فرد منهم إسلاما حياً يسعى .

أما مسلموا اليوم فان الدعوات الضالة المضلة قد استعبدت عقولهم وأرواحهم ، وصرفتهم عن الاسلام الى نهج في الحيـــاة لا يلتقى مع الاسلام على صعيد ، وتحول الاسلام فى انفسهم الى شعور فردي مقطوع الصلة بالحياة لا يبنيها ولا يقوم ما اعوج منها . وهم وهذا حالهم غـير جديرين بحمل رسالة الاسلام الى الانسانية الضالة المعذبة وان عليهم لكي يكونوا خير امة اخرجت للناس حقاً ان يحققوا رسالة الاسلام في انفسهم فى واقع حياتهم وسلوكهم . وحينئذ يقوون على حمل الرسالة وادائها ، وحينئذ يكونون شهداء على الناس كما وعدهم الله وحينئـذ يكونون خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يؤمنون بالله ويحققون رسالة الاسلام .

ورسالتنا :

هي ان ندعوا المسلمين الى الله مولاهم الحق وتنفتح أعينهم على واقعهم السيء واسباب تردية ونرسم لهم سبيل النهوض من كبوتهم بشرح مبادىء الاسلام لهم ورائدنا فى كل ذلك قوله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون » .

رسالتنا خالدة مخطوطة

(وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)

الاسلام دين عالمي ، وليس خاصاً بأمه وليس محصوراً في وطن وانما هو للبشرية كلها في جميع الاوطان (إن هو إلا ذكر للعالمين) .

وهو دين البشرية الاخير فلن يتلقى الناس رسالة غيره من السماء حتى يكتب لهذا العالم الفناء ، ومن هنا كان نبي الاسلام (ص) خاتم الانبياء (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .

وهو دين يتناول الانسان من جميع اقطاره : جسداً وروحاً فرداً ورب اسرة وعضواً في مجتمع ، مكافحاً في سبيل العيش وعابداً خالياً به مسالماً لغيره من الناس ومحاربا لهم . واذن فهو دين ينتظم شؤون الحياة جميعاً .

والحياة الانسانية ليست جامدة ، وليست متحجرة ، وانما هي متحركة ومتغيرة وهذه الحركة وهذا التغيير يشملان جميع مظاهر الحياة الانسانية ، الأشكال المادية وعلاقة الناس بعضهم ببعض وافكارهم

وهما يؤديان بالاحياء وبمظاهر الحياة طوراً الى التقدم والتحسن وطوراً آخر الى التأخر والانحطاط .

وإذا كان الاسلام ديناً عالمياً يتناول الحياة الانسانية من جميع اقطارها فلابد أن يكون له موقف معين إزاء ما يطرأ على مظاهر الحياة الانسانية من تبدل وتغير وتطور نحو الأحسن تارة ، وانتكاس الى الوراء اخرى ، فما هو موقف الاسلام ؟

إن الاسلام دين البشرية الأخير فهو خالد ما بقي للانسان على ظهر الارض وجود ، ولكن كونه خالداً لا يعني انه يقف موقفاً سلبياً من كل تغير يطرأ على الاحياء ومظاهر حياتهم بل يقف موقفاً ايجابياً من هذه التغيرات فينميها ويوسع من مجالاتها اذا كانت تغيرات خليقة بأن تساعد الانسان والحياة الانسانية على التقدم والتحسن والازدهار ويرفضها ويمنع منها اذا كانت خليقة بان تقعد بالانسان عن الغايات العليا التي أرادها الله له فالاسلام لم يجمد الحياة الانسانية فى اطار معين لا تتعداه في أشكالها ومناهجها واسلوب ممارستها بل اتاح للحياة الانسانية ان تنمو وان يطرد تقدمها وازدهارها .

وما يطرا على مظاهر الحياة الانسانية من تغير تارة يمس الطبيعة المادية التي تحيط بالانسان واخرى يمس النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه الحياة . والقسم الأول من التغيرات يظهر فيما اتيح

للانسان المعاصر من التقدم العظيم في اساليب انتفاعه بالطبيعة المادية والسيطرة عليها واستخدامها في تحسين شروط حياته اليومية .

ولا يقف الاسلام موقفاً سلبياً من هذا التقدم الذي احرزه الانسان المعاصر في هذا المجال بل هو يدعو المسلم الى الاستمتاع به ، والمشاركة ، والابداع في مجالاته لانه ليس عدواً للتقدم والمدنية . بل هو حافز الى التقدم وانشاء المدنية .

والقسم الثاني من التغيرات يظهر في النظم الاجتماعية والاقتصادية المبتدعة التي تمخضت عنها الحضارة الغربية ، ومفاهيم الانسان الغربي عن الكون والحياة والانسان وموقف الاسلام من هذه النظم مما قد يستحدث فيها من تغيير وتبديل ليس موقف الرفض المطلق وليس موقف القبول المطلق لأن الاسلام كما أسلفنا دين ينتظم شؤون الحياة جميعاً ولذلك فلابد من عرض كل تغير جديد يطرأ على مظاهر الحياة الانسانية في هذه المجالات على مبادىء الاسلام وأحكامه الخاصة بهذا المجال الذي طرأ التغير فيه ، وحينئذ فما خالف احكام الاسلام لابد أن يرفض نهائياً وبصورة قاطعة وحاسمة فلابد من رفض كل تغيير بصورة قاطعة وحاسمة اذا كان مخالفاً لأحكام الاسلام وأما ما اتفق مع احكام الاسلام أو لم يخالفها ـ كما لو لم يرد تحديد خاص من الشارع في مسألة ما ولم تكن هذه المسألة من جزئيات مبدإ إسلامي عام ـ فان الاسلام

يرحب به بعد ان يطبعه بطابعه ويسبغ عليه روحه وسمته المميزة . فمثلا لا يمكن أن يقبل الاسلام وجهة النظر الغربية فى حوانية الانسان وماديته ومشروعية الربا ، والمسألة الجنسية ، وما اليها . ولكن ليس في الاسلام مايحول بين العمال وبين ان ينظموا انفسهم ويعهدوا الى هيئة منهم تتولى النظر في مصالحهم وسبب اختلاف موقف الاسلام هنا عن موقفه هنك هو أن وجهة النظر الغربية في المسائل السابقة مخالفة لاحكام الاسلام ، أما فى المثال الأخير فان مبدا حرية العامل فى عمله وكسبه مبدا اساسى فى الدين الاسلامي ، وهذا المبدا يجعل للعامل الحق فى ان يمارس الوسائل المشروعة التي تجعله قادراً على تحسين مستواه المعيشى ، وليس لنا ان نمنع من ذلك لأنه لم يكن فى زمان النبى (ص) ما دام المبدا الاسلامي في العمل هو الحرية .

والاجتهاد ـ وهو مرتبة عالية من العلم باحكام الاسلام ومبادئه العامة عن ادلتها الخاصة ـ هو الوسيلة التي يتاح لفقهاء المسلمين باعمالها ان يطبعوا الحياة الانسانية بطابع الاسلام حيثما كان له سلطان .

وهكذا فالاسلام خالد متطور : خالد في مبادئه واحكامه الاولية التي انزلها الله تعالى على النبي محمد (ص) ووصلت الينا في الكتاب العزيز والسنة المعتبرة ، ومتطور في احكامه الثانوية لم يقيدنا الشارع فيه بنهج خاص واسلوب مخصوص وفيما ورد فيه حكم عام يتسع لما يطرا على الواقعة الخاصة من

اشكال مختلفة .

* * *

وهنا يأتي دور الحديث عن فكرة شائعة بين كثير من مسلمي هذا العصر حول تطور الاسلام ، وكيف ينبغي ان يكون ، فيرى هؤلاء ان احكام الاسلام نفسها يجب ان تتطور وان تتغير لتجاري الحياة الانسانية في مسارها ولئلا تنعزل عنها ، وإذن فالاسلام كما انزله الله تعالى على نبيه محمد (ص) ليس صالحاً لمعالجة الواقع الانساني القائم ، ولأجل ان يكون كذلك يجب على المسلمين ان يصوغوا الاسلام صياغة جديدة تلائم الواقع المعاصر .

ومنشأ هذا الوهم هو السموم الفكرية الوافدة التي يعمل اعداء الاسلام على نشرها بين المسلمين ليجردوا الاسلام - في انفسهم - من حيويته ، واصالته . وقدرته على الصمود . وهو وهم لا يمكن ان ينطبق على الاسلام بحال من الاحوال لأن الاسلام ليس قانوناً وضعياً قامت بوضعه جماعة من الناس ذات مدارك محدودة ، وافهام محدودة ، ووعي للواقع الانساني محدود ، طائفة من الناس محكومة بظروفها ووراثتها ، وحالات بؤسها ونعيمها ، وحبها وبغضها وغير ذلك من عوارض الانسان . ولو كان الاسلام شيئاً من هذا القبيل لوجب تعديله وتطويره والغاء شيء منه ، وإدخال شيء فيه . أما وهو ليس كذلك فلا يمكن

الحكم عليه بمقياس غير مقياسه ، والنظر اليه على أنه كغيره من النظم الوضعية ذات المدى المحدود .

إن الاسلام ليس قانوناً وضعياً محدود المجال فى الزمان والمكان وليس من وضع انسان محدود الافق محدود الاهداف ، وانما هو نظام سماوي موحى به من عنـــد الله عز وجل خالق الانسان والعالم بكل ما يصلحه وما يفسده . وقد اشتمل الاسلام على كل ما يصلح الانسان فى جميع ادواره وحالاته في دنياه وآخرته لو اتبعه وتمسك به وسار فى حياته على هداه ، ولا تزال تجارب الانسانية البعيدة عن الاسلام تقدم الدليل تلو الدليل على انه لن يصلح أمر الناس إلا بالاسلام ومناهجه ونظمه .

وإذا كان الاسلام كذلك فاين موقع الحديث عن تعديله وتطويره من الصدق والصحة ؟ وهل يعدو سوء الفهم أو سوء القصد ؟ واذا طورنا الاسلام على النحو الذي يلائم الاشكال الحديثة للنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فما ذا نكون قد ابقينا منه ؟ اننا في الحقيقة نكون قد الغيناه من واقع الحياة ، وحصرناه في الوجدان الفردي وسمينا النظم الغربية باسمه ، وهذا هو ما يعمل له اعداء الاسلام والمخدوعون بهم من المسلمين .

إن الاسلام ليس في حاجة الى التعديل ، وليس في حاجة الى

التطوير والتحوير ، وإنما الانسان هو الذي يجب عليه إذا اراد الحياة السعيدة النبيلة ان يطبق الاسلام على نفسه فرداً واسرة ومجتمعاً وعالماً ليصلح الاسلام امره لأن الاسلام لم يوجد ليبرر ما فى حياة الانسان من فساد وانحطاط وانما وجد ليهذب هذه الحياة ويبعثها نحو الاهداف العليا التي ارادها الله للانسان .

وبعد

فلهؤلاء الذين يصرون على (تطوير) الاسلام فى هذا العصر نظراء في عصر النبوة وما سبقه من عصور انهم هم الذين يحرفون الكتب ، كتب الله تعالى ليشتروا بها ثمناً قليلا من عرض الحياة الدنيا وقد قال فيهم الله تعالى (وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) .

رسالتنا انسانية عالمية

- ١ -

لا تكون العقيدة إنسانية إلا حين يجد الانسان فى رحابها المجالات التي تهيء لكافة طاقاته جميع فرص النمو والازدهار وتوازن بين كافة جوانبه فلا تمكن لجانب بالتنكر لجانب آخر . ومن الواضح ان العقيدة ان تكون كذلك إلا اذا عالجت الواقع الانساني على اساس الاعتراف بالانسان كما هو ، وكما خلقه الله تعالى من غير تحوير الاعتراف بكل طاقاته وكل حاجاته وكل كيانه المتطور وغير المتطور .

وعلى هذا فالاسلام هو الدين الانساني الوحيد بين العقائد والأديان التي عاصرته او حدثت بعده ، لأنه الدين الوحيد الذي يتجاوب مع الواقع الانساني بكل حاجاته ومطامحه ، ولعل من ابلغ النصوص القرآنية دلالة على ما نقول قوله تعالى :

« فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

فالاسلام هو دين الفطرة الانسانية وهو يتجاوب مع هذه

الفطرة ، فلا يحرفها ولا ينكرها وانما يعترف بها . والاسلام هو دين الكرامة البشرية (ولقد كرمنا بني آدم) .

وليس حتما علينا ان نستوعب في حديثنا هذا كثيراً من الشواهد لنقيم الدليل على ان الدين الاسلامي دين انساني فذ بين العقائد والاديان وذلك لأن الحكم على اية عقيدة بانها انسانية او غير انسانية يتوقف على الموقف الذي تتخذه العقيدة من مسائل الانسان الكبرى : وضعية الانسان ازاء العالم الخارجي ، والعقل الانساني والحرية الانسانية ، وفكرة التقدم الانساني المستمر .

فلنتابع موقف الاسلام ازاء كل واحدة من هذه المسائل ،

- ٢ -

١ - **الانسان والعالم الخارجي** : إن الاسلام لم يعتبر العالم الخارجي عدواً للانسان وشراً يجب الفرار منه والتجرد عنه مهما امكن وانما اعتبره مجال كفاح الانسان ونموه وتمدد قواه . وازدهار طاقاته . والقرآن الكريم حافل بامثال هذه الآيات الكريمة التي يوجه فيها الله الانسان الى العالم الخارجي ليكتشفه ويتفاعل معه ويستفيد منه : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت ؟ » و : « قل انظروا ماذا في السماوات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »

و : « ألم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء » و : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ومالها من فروج » و: « أو لم يروا الى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم » وغيرها .

فعالم الطبيعة عند المسلم هو مظهر قدرة الله عز وجل وعظمته ، وهو مجال كفاح الانسان واستفادته ، لأن عالم الطبيعة قد سخر للانسان « وسخر لكم ما في الارض جميعاً » والانسان هو خليفة الله تعالى في الأرض « وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة » .

وعلى الضد من هذا نجد موقف المسيحية من العالم الخارجي موقفاً سلبياً فالمسيحية ترفض عالم الطبيعة على اعتبار انه شر ورجس ، وعامل من عوامل الهلاك الابدي للانسان . إن الانسان حسب التعاليم المسيحية يولد واللعنة الأولى تلاحقه ، والخطيئة الاولى تلوث كل وجوده ، ووظيفته ان يكافح في هذه الدنيا من اجل الخلاص والوسيلة الوحيدة للخلاص هي التجرد عن الواقع ، ورفض العالم الخارجي ، والتخلص منه باي ثمن . وبذلك الغت المسيحية كل ما يصل الانسان بالعالم الخارجي من وشائج القربى الحميمة ، واقامت بين الانسان وبينه جداراً شاهقاً من الكراهية والخوف . ومن هنا كان موقف الانسان المسيحي حقاً من العالم الخارجي موقف متخاذل ومرسوم بالانهيار .

وقد اضطر الانسان الاوربي المعاصر الى ان يرفض المسيحية نفسها ليتحرر من أسر هذه النظرة وغيرها مما سنشير اليه . ولكن النظم الفكرية التي اقام عليها هذا الانسان حياته الجديدة كانت نظما غير انسانية لانها من اجل أن تصحح الشذوذ الذي أوجدته المسيحية بتطرفها قد تطرفت هي الاخرى ايضاً فاهملت ـ فى سبيل تعويض الانسان عما حرمته إياه المسيحية ـ الجانب الروحي من الانسان وهو ما يجعل لحياة الانسان معنى وهدفا ، وهو ما لا يكون الانسان كائناً متفرداً عن سائر الانواع الحيوانية بدونه ، واعتبرت الانسان موجوداً فيزيائياً حرفا ، وغلت في هذا الشذوذ غلواً شنيعاً . ومن هنا (غدا الرجل العصري ـ كما يقول ـ إقبال ـ بما له من فلسفات نقدية وتخصص علمي ، يجد نفسه في ورطة ، فمذهبه الطبيعي قد جعل له سلطاناً على الطبيعة لم يسبق له مثيل ، لكنه سلبه إيمانه في مصيره هو . . وقد استغرق فى الواقع ، أي فى مصدر الحسن الظاهر للعيان ، فاصبح مقطوع الصلات باعماق وجوده ، تلك الاعماق التي لم يسبر غورها بعد . وأخف الأضرار التي أعقبت فلسفة المادية هي ذلك الشلل الذي اعترى نشاطه ، والذي أدركه هكسلي . وأعلن سخطه عليه » .

أما الانسان المسلم فهو في مأمن من ان يفقد انسانيته لأن العقيدة الاسلامية لم تضح بكيانه الروحي فى سبيل ان تيسر له المتاع المادي بل

يسرت له أن يلبي اشواق الروح وضرورات الجسد حين اعترفت بثنائيته وعالجته على هدي هذه الثنائية .

* * *

ويتصل بالحديث عن موقف الاسلام من العالم الخارجي الحديث عن موقف الاسلام من الغرائز الانسانية . فان الغريزة هي القوة الحيوية الدافعة التي تتلاشى بدونها الحركة ، اي انها عبارة عن الشرط الداخلي للسلوك الانساني وهي التي تسبغ على الحياة حركتها وتدفقها . ولئن عرفت الحياة بانها مجموعة الوظائف التي تقاوم الموت فان من الحق ان تكون الغرائز من اهم ما يقوم باسباغ مظاهر الحياة على الكائن الحي ، ومن هنا كان موقف الاسلام من الغرائز الانسانية موقفاً ايجابياً ، فلم يحاربها وانما اعترف بها ، وهيأ للانسان المسلم مجال التعبير عنها . قال تعالى (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) . (يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيباً) . (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) . ولكن الاسلام اذ يعترف بالغرائز لا يدعو الى مادية صماء ، ولا يبيح للانسان أن يستغرق في تلبية مطالب الغرائز بحيث يغدو حيواناً لا يعني بما وراء المتاع الحسي من اهداف الانسان العليا ، وبحيث يغدو كهؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بقوله (إن الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل

الانعام) بل يدعو الى المتاع المادي بقدر ، ويدعو المسلم الى ان يوازن بين الروحي والمادي في حياته: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)

هذا في الاسلام ، أما في المسيحية فقد حوربت الغرائز الانسانية ولم يسمح للانسان بالتعبير عنها ، فالتعبير عن غريزة القتال ، وغريزة التملك ، وغريزة الجنس وغيرها اثم عظيم ، وليس عسيراً علينا ـ بعد هذا ـ أن نعرف لماذا رفض الانسان الاوربي المعاصر المسيحية كدين ذى اثر في واقع الحياة .

واما في الحضارة الحديثة فقد أطلقت الغرائز من عقالها . ذلك لأن من النتائج التي نشأت من نظرية داروين زلزلة الايمان بالانسانية ورفعته وسموه وروحانيته فى ذهن الفرد المعاصر ، حيث أوحت له هذه النظرية بما اشتملت عليه من احكام قاطعة ، وتعميمات تجافي الروح العلمية ـ انه لا يختلف عن سائر الفصائل الحيوانية ، واذن ففرض سلوك معين عليه يتسم بالطهارة والنقاء بلا مبرر وهكذا فالغريزة اهدى من الاخلاق . وكانت عاقبة ذلك أن غدا الانسان الاوربي المعاصر مغرقاً فى حيوانيته ومادته . أما الاسلام فهو الدين الذي اتاح للانسان ان يتمتع بحياته الدنيا من غير ان يضيع اتجاهه الروحي ، وبهذا كان الدين الانساني الوحيد بين العقائد والأديان .

- ٢ -

٢ ـ الاسلام والعقل : موقف الاسلام من العقل مساوق لموقفه من عالم الطبيعة . فلكي يكتشف الانسان عالم الطبيعة وينتفع به ، ولكي ينمي الانسان ذاته ، ولكي يتصل بالينابيع الحقيقية لوجوده ولكي يستخدم سلطانه على الأرض استخداماً حكيما لابد له ان يستعمل العقل . والقرآن العظيم حافل بالآيات التي يستنكر فيها الله تعالى على الكافرين والضالين كفرهم وضلالهم لانهم لم يستخدموا عقولهم أستخداماً حكيما ، وما اكثر مانعي على الجامدين المقلدين المعطلين لموهبة العقل جمودهم وتقليدهم. وهو حافل بالآيات التي تأمر الانسان بالتفكر واستعمال العقل في دراسة ظواهر الكون وتحليلها ، واكتشاف القوانين التي تحكمها كقوله تعالى (إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقوله (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر اولوا الالباب) وغيرها .

هذا في الاسلام اما فى المسيحية الرسمية فقد كان العقل يرسف

فى الاغلال ولم يتح للعقل ان يسترد سلطانه إلا حين رفض المسيحية وما كان فى مكنته ان يسترد سلطانه دون ان يرفضها فان ما يتصل بعالم الالوهية من الكنيسة الغاز لا يمكن ان يؤمن بها انسان يحترم عقله ومع ذلك فقد كانت الكنيسة تفرضها ، وتفرض الايمان بها والى جانب هذا كانت الكنيسة الكاثوليكية تفرض تفسيراً للكون والطبيعة لا يجوز ان ينقض ولا يجوز ان يتغير ولما اثبت بعض العلماء خطأ (الحقائق الكنيسية) كان جزاؤهم الموت والتشريد وكانت الكنيسة تقول (يد الله مع الكنيسة) وكانت تتخذ هذا بذلك المبدا مبرراً لاصدار الاحكام المتضادة في المسألة الواحدة لأن الله معها على كل حال - وتتطلب من الناس ان يصدقوا ذلك .

هذه هي منزلة العقل الانساني فى المسيحية الرسمية ، ولكن العقل تخلص في النهاية من هذا الغل بان تخلص من الكنيسة ونادى الانسان الاوربي بسيادة العقل بدلا من الدين وقد استمر سلطان العقل زمناً حتى انزله عن عرشه الحسيون الذين نادوا بان مصدر المعرفة الحقيقي هو الطبيعة وليس العقل وغدا العقل مجرد انعكاس للمادة فى الحس ، وترتب على هذا تأكيد مادية الانسان وحيوانيته وانسلاخه من كل المعاني النبيلة التي لا يكون بدونها انساناً ، فكأن الانسان الاوربي المعاصر قد سلب القدرة على ان يدرك ان من المستحيل ان نحل المشكل

الانساني برفض ما لا تدركه حواسنا منه . وقد اشرنا آنفاً الى ان النظم الفكرية التي اقامها الانسان الاوربي كبديل للمسيحية كانت ايضاً غير انسانية لانها تنكرت للجانب الروحي في الانسان .

- ٤ -

٣ - الاسلام والحرية الانسانيـــة : ونعني بالحرية هنا الحرية الداخلية ، حرية الاختيار والتصرف ، لا الحرية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، فهل الانسان حر ، هل يتمتع هـــذا الكائن بحرية داخلية تجعله سيد افعاله وتصرفاته والنهج الذي يختطه لحياته إن الاسلام يعتبر الكائن الانساني كائناً حراً : يتمع بالقدرة على الاختيار وهو مسؤول لانه حر إذ لا مسؤولية إلا مع الحرية . الانسان حر شرع الله تعالى له طريق الهدى ونهاه عن الضلال ومتعه بالعقل الذي يدرك ويميز ، ووهبه القدرة على ان يختار ، واعطاه الارادة التي ينفذ بها الاختيار فيحيل الفكر الى واقع حي (انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها) و (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وغير ذلك من الآيات . والانسان مسؤول عن افعاله (اليوم تجزون بما كنتم تعملون) و (من يعمل سوءاً يجز به) و (أن ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيه سوف يرى) . وغيرها .

هذا في الاسلام أما في الحضارة الحديثة فان الامر على الضد من ذلك الانسان في الحضارة الحديثة كائن مسلوب الاختيار ، مرغم على السير فى خط معين لا يتعداه ولا يستطيع أن يتعداه . وقد اسهمت مذاهب الاجتماع والاقتصاد والمدارس النفسية في تغذية هذه النظرة الى الانسان . ولكن إذا جردنا الانسان من حريته الداخلية ونفينا أن يكون شيئاً اكثر من هذه الكتلة المنظورة من المادة فماذا أبقينا من الانسان ؟ واذا نفينا الحرية فقد نفينا المسؤولية ، وحين ترتفع المسؤولية ترتفع الأخلاق ، إذ كيف نفرض على إنسان لا سلطان له على ذاته سلوكا معيناً ، وما الأخلاق إلا مجالات تمارس فيها الحرية الانسانية عملها . والارادة الانسانية وقد تمثل ردالفعل على هذه الحتمية فى وجودية (سارتر) الملحدة ، فالانسان ـ حسب النظرة الوجودية ـ حرية مطلقة ودفعة عفوية لا يقيدها قيد ولا يكبحها ضابط ، فلا إله ولا دين ، ولا اخلاق ثابتة ، وهكذا يتمزق الانسان الاوربي بين الدعوات المتضادة ، دون أن يهتدي تارة الفكر فيه الى السبيل القويم .

ـ ٥ ـ

٤ ـ الاسلام والتقدم الانساني : إن الدين الذي يحمل الانسان على أن يقف من العالم الخارجي موقفاً إيجابياً فاعلا ، ويمجد العقل الانساني ويبعث الانسان على أن يستخدم عقله وفكره فى اكتشاف

أسرار الطبيعة ، وينادي بان الانسان كائن حر مختار ـ إن ديناً كهذا لا بد أن يبشر بالتقدم الانساني وبقدرة الأنسان على ان يطور حياته على ظهر هذا الكوكب فيغنيها دوما بالجديد ، ويزيدها بهاءاً وجمالا .

وإذا شئنا ان نعرف مدى حفاوة الاسلام بالعلم وهو اداة التقدم الانساني وقعنا على المعجب الباهر في هذا الباب ، فالكتاب والسنة حافلان بالشواهد على ما للعلم والعلماء من منزلة سامية في الأسلام .

والواقع التأريخي للمسلمين اعظم شاهد على هذا فما كاد يخفت ذوي الفتوح الكبرى حتى توجه المسلمون بحماس منقطع النظير نحو تطوير حياتهم الجديدة فحققوا من التقدم ما لا يزال يذهل الباحثين . وكانوا السابقين الى المنهج التجريبي في البحث العلمي ، وكانت القاعدة عندهم كما يقول لوبون (جرب ، وشاهد ولاحظ تكن عارفا) .

اما الكنيسة فانها على الضد من الاسلام لأن موقفها السلبي من عالم الطبيعة واستهانتها بالعقل الانساني جعلها عدوة لفكرة التقدم الانساني . بل انها وقفت حائلا دون إدخال انماط جديدة في حياة معتنقيها وطاردت ذوي العقول النيرة المرتادة من العلماء . ولم يحقق الانسان المعاصر هذا التقدم الباهر فى ميادين العلم والاختراع إلا بعد أن رفض الكنيسة كدين ذي اثر في الحياة .

ولكن الغربيين ـ بتأثير من نظمهم الفكرية الضالة ـ لم يقتصروا

على استخدام المنهج التجريبي في البحث الذي تعلموه من المسلمين في ميدانه الاصيل وهو ما يدرك بالحس كما كان المسلمون يفعلون وإنما تجاوزوا بهذا المنهج ميدانه الأصيل الى ما لا يمكن ان يخضع للتجربة الحسية وهو النفس الانسانية فزادوا انحرافا وضلالا .

- ٦ -

والاسلام دعوة عالمية ، وهي عالمية لأنها انسانية ، فدين الفطرة هذا لا يختص بطائفة من الناس دون غيرهم ولا تحجزه حدود وطن عن سائر الأوطان .

وليس يكفي في وصف الدعوة بالعالمية ان توجه نداءها الى الناس اجمعين ، بل لابد ان تتناول هذه الدعوة ما هو مشترك فى الانسان فتبعثه من الظلمات وتسلط النور عليه وتؤكده . وترفعه الى مرتبة الشعور الواعي ولابد ان تحارب كل ما يدفع الناس الى التناحر والانقسام مما هو ليس جوهريا وليس حقيقياً فى الانسان . اما مشاكل الحياة وتعقيداتها المتصلة بالمصالح الخاصة لكل فئة من الناس فلابد من تنظيمها لئلا تكون عائقاً يقف دون وحدة قلوب الانسانية .

ولم تتوفر هذه الشروط الا فى الاسلام من بين جميع الدعوات المعاصرة سواءاً منها المستحدث او القديم .

فالنبي محمد (ص) مرسل الى الناس جميعاً (وما ارسلناك الا

كافة للناس بشيراً ونذيراً ، . والخطاب فى كتاب الله موجه الى الى جميع الناس بلا استثناء على اختلاف اوطانهم ، وألوانهم ومراتبهم الاجتماعيـة ، وحظوظهم من الغنى والفقر . ونداء : (يايها الناس) نداء مألوف فى القرآن العظيم .

والكتاب والسنة يؤكدان الأمور المشتركة بين الناس التي تجعل كافة الناس اسرة واحدة ، اصلها واحد ومنشؤها واحد ومصيرها واحد (يايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) (يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وقد اعلن الاسلام حربا شعواء على الحواجز اللونية والاجتماعية والقومية التي تفصل بين المجموعات الانسانية . ونادى بان ما هو مشترك بين الناس هو الأصل وهو الجدير بالاستجابة واما ما هو مفرق فليس الا عارضا لا يجوز ان يجعل اساساً للتفريق والتحزب ، والانتقام وقد روي عن النبى (ص) (لا فضل لعربي على اعجمي ولا لقرشى على حبشي الا بالتقوى ﴿ ايها الناس : ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب . اكرمكم عندالله اتقاكم وليس لعربي على اعجمي ولا لأحمر على ابيض ولا لابيض على اسود فضل الا بالتقوى ﴾

وقد اشتمل الاسلام على نظم لشؤون الناس الخاصة والعامة تكفل لهم لو اتبعوها استقراراً في الحياة وانسجاما في العلاقات وقدرة على بلوغ الكمال الانساني المنشود .

وقد عرف العالم دعوات عالمية كثيرة عرف المسيحية الرسمية التي يدعى انها عالمية مع ان كتابها المقدس ينطق بأن ما عدا شعب اسرائيل كلاب ولم تكن انسانية في يوم من الايام . وعرف الماركسية في العصر الحديث ويدعي اتباعها انها عالمية . ولكنها لن تكون انسانية في يوم من الايام لأنها مادية وقد كفرت بالانسان يوم جردته من مصدر عظمته ومن اعظم ميزاته وهو جانبه الروحي مصدر انسانيته الوحيد واذا لم تكن انسانية فلن تكون عالمية لأنها تفقد الشرط الاساسي لذلك وهو الايمان بالانسان .

ويبقى الاسلام والاسلام وحده دعوة انسانية عالمية كذلك كان وكذلك هو الآن وكذلك سيبقى حتى يرث الله الارض ومن عليها .

- ١ -

كانت حياة الانسان وما تزال ميدانا لالوان من الشرور منها ما يعذب الانسان ويضنيه ومنها ما يبهجه ويريضيه ولكنها جميعاً شرور تسم خيانة من حيث يشعر او لا يشعر وتفضي على بهائها وكمالها ولا ريب فى ان معرفة منشأ هذه الشرور واسبابها خطوة عظيمة يخطوها المكافحون من اجل سعادة الانسان وخلاصه فما هي منا شيء هذه الشرور وما اسبابها ؟

دعاة الاصلاح فى العالم الغربي وفى المجتمعات المنفعلة به حضارياً يرون ان الفساد والانحطاط والشرور التي يعاني منها الانسان وتحفل بها حياته انما نشأت من المؤسسات الاجتماعية التي يمارس الانسان حياته في اطرها ، وعلينا - لكي نصلح حياة الانسان ونهذبها - ان نصلح المؤسسات الاجتماعية وحينئذ تحصل على انسان كامل سوى التكوين .

اما الانسان فليس عاملا من العوامل التي توجد الشر والفساد لأنه كامل ومستوف لجميع شروط الصلاح وقد تمزق العالم بين الدعوات

المختلفة التي تعالج لواقع الانساني بهذا الاسلوب . ولذي يدلك على خطأ هذه الفكرة ومجافاتها للصواب ان الانسانية لم تجن من وراء ما بشرت به هذه الدعوات شيئاً سوى الحروب والبغضاء المدمرة الاكول . وان نظرة واحدة الى واقع الانسان المعاصر لشاهد بليغ الدلالة على ما نقول .

أما الاسلام وهو دعوة انسانية عالمية شاملة لجميع مظاهر الحياة الانسانية تهدف الى تهذيب هذه الحياة ، والارتفاع بها دوماً الى ذرى جديدة من السمو والنبل أما الاسلام فانه لا يشجع على هذا الاتجاه في علاج الواقع الانساني ، ولا يؤمن بهذه الفكرة .

فانه لا شك ان لفساد المؤسسات الاجتماعية دخلا في الواقع الانساني وانحطاطه ، ولكنه لا يعدو ان يكون عاملا ثانويا أما العامل الرئيس فهو الانسان نفسه ، وذلك لأن المظاهر المدركة والمنظورة للحياة الانسانية ليست من صنع كائن خارج عن الانسان ، وانما هي من صنع الانسان نفسه ، فهو الذي يسبغ على حياته مظاهرها ، ولذلك فهو يطبعها بطابعه الخير أو الشرير ويفرغها في الصيغة الملائمة لمصالحه أو الموافقة لاهوائه .

واذن فمن الضروري لاصلاح الحياة الانسانية وتهذيبها ان يتناول الاصلاح الانسان نفسه وان يعاد تكوينه من الداخل على نحو يجعله متجاوبا ومنسجما مع فطرته ومع اهدافه العليا ، ومع واقعه . ومن

الضروري ايضاً لاصلاح الحياة الانسانية وتهذيبها ان يتناول الاصلاح المؤسسات الاجتماعية التي يمارس الانسان حياته في اطرها ، وان تطور هـذه المؤسسات نحو الأحسن والافضـل ، نحو المستوى الذي يتيح للانسان اقصى قدر مستطاع من السعادة في هذه الحياة الدنيا . وحين يتم هذا وذاك نضمن ألا ينحرف الانسان بالمؤسسات الاجتماعيـة نحو الشر والفساد ونضمن ألا تسهم المؤسسات الاجتماعية فى افساد الانسان وبعثه الى صنع الشر وممارسته .

وذلك لان الانسان الخير سيعمل على جعل مؤسساته مرسومة دائماً بطابع الخير الذي يطبع سلوكه .

هذه هي وجهة النظر التي تقوم عليها فكرة الاسلام فى الاصلاح أما ان نجعل المظاهر براقة ومثالية دون ان نبذل جهداً في اصلاح الانسان فذلك جهد فاشل لأن الفساد حينئذ وان اختفى عن الاعين الى حين ألا انه سيظل ينخر في اعماقنا وسيرغمنا على ان نفسد بايدينا نحن هذه المؤسسات وان ناوث باقذارنا نقاءها الظاهرى .

وقد عالج الاسلام الواقع الانساني على هذا الاساس فلم يعمل لاصلاح الانسان دون ان يصلح المؤسسات الاجتماعية كما فعلت المسيحية والدعوات الصوفية ففشلت ولم يعمل لاصلاح المؤسسات الاجتماعية دون ان يصلح الانسان كما فعلت المذاهب والدعوات الحديثة ففشلت ايضاً

وانما اصلح الواقع والانسان فكانت المعجزة الكبرى التي لم يشهد لها العالم مثيلا من قبل وان يكون لها مثيل إلا بالاسلام .

وسيبقى المبدأ الاسلامي الخالد (لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) (ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) المصباح الهادي لجميع المصلحين .

وعلى هذا الاساس نستطيع ان نقول ان الفكرة الاسلامية في الرسالة الاسلامية فكرة انقلابية ثورية لانها تضع الانسان قواعده الرئيسية التي تتبلور طبقا لها شخصيته الروحية والفكرية من نظرة عامة نحو الحياة والكون ومقياس عملي اعلى في الحياة وطريقة عقلية عامة في التفكير ثم تقيم المجتمع على اساس تلك الاسس التي كونت منها شخصية الانسان الكاملة فالمسألة في نظر الاسلام هي صنع انسانية بخصائصها الروحية والفكرية التي تتيح لها القيام باعبائها ورسالتها في العالم وليست ترميما واصلاحا لجانب اجتماعي فقط .

هذا من ناحية الفكرة التي يتبناها الاسلام واما من ناحية الطريقة التي يجب ان تنفذ الفكرة وفقاً لها فلم يضع لها خطوطها المحدودة وتفاصيلها الثابتة في كل الأحوال والظروف كما صنعت الماركسية حيث ان الانقلاب الثوري هو الطريق الوحيد لتطبيق مفاهيمها .

فالاسلام من ناحية الطريقة لا يجد من الضروري ان يكون

انقلابا ثوريا كما كان في فكرته وانما يفسح المجال للانقلابية الثورية في حدود الشروط الصارمة التي تفرضها عليه مثله وقيمه العليا ويسمح باستعمال مختلف الأساليب والألوان التي تتفق مع تلك المثل والقيم .

وهكذا نعرف ان الاسلام انقلابي ثوري في فكرته ومرن في طريقته التي يجب ان تحدد على ضوء الملابسات والظروف ومقتضيات الاحكام الشرعية العامة في باب الجهاد وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب التبليغ والتعليم وباب التقية وغيرها من الابواب .

ليس التاريخ شيئاً منفصلا عن الانسانية ومتميزاً عنه ، بل هو متلاحم معه ، لأن الانسان هو الذى يصنعه ويكونه ، وهو الذي يتحكم فى مجراه ، ويوجهه الوجهة التي يريد .

وليس المجتمع ظاهرة مادية فحسب وانما هو ظاهرة معنوية ايضاً لان المجتمع هو الصيغة المنظورة لعقيدة ما توجه حياة طائفة من الناس وتطبعها بطابعها . فلعل من المدركات البديهية أن الانسان ـ هذا الكائن الذى ينشىء الحضارات ، ويعمر الكون ويغني الحياة ويجددها ـ هو كائن ذو عقيدة يسير عليها فى حياته الدنيا . ولم يحدث في الماضي ولن يحدث في المستقبل ايضاً ان يوجد مجتمع يمارس حياته بغير عقيدة تنظم هذه الحياة ، فان المجتمع ظاهرة معنوية كما قلنا ، وحيث لا عقيدة ولا نظام فلا مجتمع على الاطلاق .

وعقيدة الانسان هي النافذة التي يطل منها على العالم وهي التى تحدد له اسلوب تعامله مع المحيط المادى والاجتماعي اللذين يكتنفانه ، وإذن فالحركة ـ وهي جزء مقوم للتاريخ ـ لابد وأن تكون التعبير الحي

المتجدد عن العقيدة الحافزة والمنظمة للنشاط الانساني . وعلى هذا فان تأريخ أى مجتمع انساني هو في الحقيقة تأريخ حركته في نطاق العقيدة الموجهة له وهو في الوقت ذاته تاريخ العقيدة التى أملت على المجتمع صياغة حياته بهذا الاسلوب المعين ، وذلك بمقدار تجاوب المجتمع مع عقيدته وتفاعله معها .

وطبيعي اننا حين نقرر ذلك لابد لنا من افتراض أن العقيدة التى يصنع الانسان تاريخه على ضوئها لابد وان تكون هي بنفسها ذات صلة بهذه الحياة الواقعية للانسان ، وإلا فمن البديهي انها لا تسهم فى صنع التاريخ ، وانما يصنعه حينئذ حافز آخر غيرها .

واذا كان الامر كذلك كان لنا ان نتساءل عن وجهة نظر الاسلام الى التاريخ : ما موقفه منه ؟ وما مدى اسهامه فيه ؟ وما هو واقعه الحاضر ؟ وما هي احتمالات المستقبل ؟

- ٢ -

الاسلام هو النافذة التي يطل منها الانسان المسلم على العالم لا من غيرها . فالاسلام لم يترك المسلم يتخبط فى بحثه العشوائي عن الموقف المناسب الذي يتعين عليه أن يقفه فى حياته هذه ، بل عين له الموقف الواقعي ، المنطقي ، الصحيح ، وطلب اليه ان يلتزمه . والعالم بالنسبة الى المسلم من وجهة نظر الاسلام هو الميدان الذي يجب ان يمارس فيه

الانسان المسلم العملية التاريخية الكونية وفق مشيئة الله جل جلاله .

وكل عمل صغير أو كبير جليل أو حقير يقوم به المسلم وفق احكام الاسلام له دوره في عملية التأريخ ، وعلى المسلمين أن يكافحوا من أجل ان يجعلوا المجتمع مسلماً ، اعني الصيغة المنظورة للاسلام ومن هنا اشتمل الاسلام على المناهج التي يجب ان تتبع في بناء التاريخ وصياغة الحياة ، فالاسلام ليس ديانة صوفية تحمل الانسان على ان يتجرد من الواقع ويرفضه ويتخلص منه بل ديانة ذات صلة حميمة بالواقع الانساني . والتاريخ بالنسبة الى الانسان المسلم ليس شيئاً منفصلا ومتميزاً عنه ، بل هو متلاحم معه لانه هو الذي يصنعه ، ويتحكم في مجراه ويوجهه الوجهة التي يريد ، فالانسان في الاسلام هو صانع التاريخ ، لأن الانسان في الاسلام حر ، وهو يتحمل مسؤولية حريته .

أما التاريخ في الماركسية فهو موجود مستقل عن إرادة الانسان وعن اختياره والانسان في الماركسية ليس حراً وليس مختاراً في توجيه العملية التاريخية الوجهة التي يريد كما هي الحال في الاسلام ، بل هو محكوم لهذه العملية التاريخية ، تسيره وتتحكم بوجوده ومصيره وتملي عليه الاسلوب الذي يجب ان يمارس به حياته . وأما مسيحية الكنيسة فهي على الضد من الاسلام ايضاً . ان الكنيسة تعتبر المسيحية عملية رفض إلهية للعالم الارضي كله ، والوسيلة الوحيدة للخلاص هي رفض التاريخ

وتخطيه ، والتعالي عليه وذلك لا يكون إلا بتدمير الانسان ووأد كل الاستجابات التي تقوم بها الذات الانسانية نحو العالم الخارجي .

الماركسية تقف موقفاً ايجابياً من التاريخ ولكنها تدمر الانسان حين تجعله عبداً للتاريخ ، وتسلبه كل حرية واختيار . والمسيحية تقف موقفاً ايجابياً ـ فى الظاهر ـ من الانسان حين تجعل خلاصة غايتها العليا ولكنها موقفاً سلبياً من التاريخ ، فتدمر الانسان حين تحاول القيام بعملية فصل الانسان عن واقعه الحي ، ووأد استجاباته لهذا الواقع . والاسلام وحـــده بين جميع العقائد والأديان هو الدين الذي وقف موقفاً ايجابياً من الانسان ومن التاريخ ، واعترف للانسان بالحرية الداخلية التي بها يكون صانع التاريخ وموجهه .

ـ ٣ ـ

وإذن فللاسلام تاريخ وقد لا تبدو هذه الحقيقة مثيرة ورائعة بالنسبة الى كثير من الناس ، ولكنها ـ فى الواقع ـ من اشد الحقائق إثارة . إذا لاحظنا انه ليس للمسيحية تاريخ ، هناك تاريخ للمسيحيين بلا ريب ولكن ليس ثمة ـ ولا يمكن ان يوجد ـ تاريخ للمسيحية وذلك لانها ترفض العالم الأرضي وتقف منه موقفاً سلبياً بخلاف الاسلام الذي عرفت انه يقف من التاريخ موقفاً إيجابياً فاعلا ، خلاقا .

لقد اثمرت دعوة الاسلام الحارة الى الحياة والتفاعل معها والعمل

فيها ، حضارة من اروع الحضارات التي عرفتها البشرية في تأريخها الطويل ، وقد اعطت مبادؤه العظيمة مدنية لم تشهد لها الانسانية مثيلا فى تاريخها القديم والحديث . وقدم نموذجا للانسان فريداً لا تزال الانسانية تكافح من اجل الوصول اليه ، ولن تصل اليه إلا عن طريق الاسلام . ونحن نعتبر ان الانسان الذى قدمه الاسلام هو اعظم عطاياه للتاريخ فلقد عرفت البشرية لأول مرة فى تأريخها الأنسان السوى التكوين الانسان الذى لا يمزقه الصراع بين مثله العليا وبين واقعه الحي وقد عرفته في مجموعات كبيرة من الناس وفي عدد كبير من اصقاع وفى شتى الظروف والحالات وهو إذن ليس فلتة وليس شذوذاً وانما هو نتاج دين الاسلام ، وقد تمثلت المدنية الاسلامية الفريدة فى هذا الانسان وقد صاغ الحضارة الاسلامية هذا الانسان .

وليس شيئاً هيناً هذا الذي ذكرناه فلم توجد عقيدة حققت هذا النجاح بهذا المقدار من الشمول والعمق والاستمرار اللهم إلا فى فترات خاطفة ورد ذكرها في القرآن الكريم .

الانسان فى القديم والحديث وفي جميع الاوطان يعاني من الصراع بين مثله العليا وبين واقعه الحي . وحسبنا مثال واحد على ما نقول . الانسان المسيحي انشأ حضارات آخرها الحضارة الحديثة ، ولكن الحضارات التي أنشأها المسيحي ليست نتاج المسيحية التي ترفض

العالم الارضى وترفض التأريخ ، وانما هي نتاج وثني اندفع اليه المسيحي بالحاح علاقته ـ كانسان ـ حي بواقعه الخارجي ، وإذن فالحضارات التي انشأها المسيحي رفض للمسيحية وتخل عنها ، ومن هنا نشأ الصراع فى داخل الانسان الغربي بين مثله العليا ، وبين واقعـــه الذي شيده ، على انقاض هذه المثل . وما الماركسية ـ لدى التحليل ـ إلا تعبير عن هذا الصراع المدمر بما يبدو انه حل له فالماركسية تمثل ازمـــة الروح المسيحية وقد بلغت قمتها ، فلجأت الى حل الازمة بان ازالت رموز المثل العليا من الحياة اليومية للانسان آملة ان تزيل الروح الدينى نفسه بهذه الوسيلة ولكن الروح الدينى شيء دخيل في كيان الانسان ذاته ولا يمكن التغلب عليه ابداً فما لم تصحح المثل العليا نفسها لا يمكن ان يزول الصراع الداخلي بين المثل العليا وبين واقع الانسان الحي .

ـ ٤ ـ

وقد كف الاسلام عن صنع التاريخ حين نحي عن مركزه القيادي فى الحياة الاسلامية . وليس من همنا هنا أن نحدد وقت حدوث هذه المأساة ـ مأساة الفصل بين مبادىء الاسلام البناءة وبين الواقع ـ وانما يهمنا أن نقرر نتيجتها وهي ان حياة المسلمين المعاصرة حياة بعيدة عن الاسلام ، لانها ليست مستوحاة من الاسلام في اكثر خطوطها الكبرى . إن المسلم المعاصر لا يؤمن بالاسلام كما كان يؤمن به المسلمون

البناة ، وانما يؤمن به ايماناً خالياً من الحياة والحرارة التي تحيل مبادئه الى طاقة شعورية تتوق الى التعبير عن نفسها في صنع التاريخ .

وقد أفلح الأستعمار بما استولى عليه من مقاليد التوجيه الكامل للحياة الاسلامية في أن يبث في عقول الكثرة العظمى عن مسلمي اليوم وجهة النظرة الغربية الى الدين وهي انه قضية تهم الفرد نفسه ، ولا تتعداه الى المجتمع ولذلك فلا علاقة للدين بالمجتمع وبالحياة العامة ، ولا معنى لأن تكون للمجتمع هموم دينية لأن الدين قضية شخصية تماما هذا الفهم المزور لوظيفة الدين زاد من ضلال الأسلام المسلم المعاصر ، بعده عن الأسلام ، بل ووقوفه منه موقفاً معاديا في بعض الاحيان .

- ٥ -

وان هذا الوعي الجديد الذي انتشر واستطار في انحاء العالم الاسلامي والذى لا يزال يتسع وينشر يوما بعد يوم هذا الوعي الجديد للاسلام ولمبادئه ولمدى مطابقته لحاجات الانسان ومطامحه وان افلاس المدنية الحديثة وتخبطها وعجزها الفاضح عن أن تقدم للانسان الهدوء النفسي الى جانب الرخاء المادى وان اخفاق النظم السياسية والاجتماعية فى أن توفر للانسان المعاصر العدالة الاجتماعية مع المحافظة على الجانب الانساني فيه . . كل هذا يحملنا على ان نكون متفائلين بمستقبل الاسلام في العالم الحديث واثقين بان الاسلام سيقود الانسان من جديد

لأن ما يخالف طبيعة الانسان وفطرته ولا بد ان تعبر الفطرة عن نفسها في نهاية المطاف والاسلام هو دين الفطرة في مبناه ومعناه (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

وقد كان الاسلام ولا يزال وسيبقى أهم واخطر وانبل محاولة لتحقيق العدالة بين الناس ولتكوين مجتمع انساني كامل ولصوغ تاريخ انساني وضيء ولتقديم نموذج فريد للانسان .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

رسالتنا ومشاكل المسلم المعاصر

اللهم انا نرغب اليك فى دولة كريمة تعز بها الاسلام واهله وتذل بها النفاق واهله وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة .

* * *

يعاني المسلم المعاصر من مشكلات كثيرة متنوعة منها ما يتصل بالفرد ومنها ما يتصل بالاسرة ومنها ما يتصل بالمجتمع بعضها اقتصادى يدور حول الانتاج والتوزيع ، وبعضها اجتماعي يدور حول قضية المرأة وما الى ذلك ، وغيرها كثير .

وليس الحرج في كونه يعاني من هذه المشكلات فان الحياة المتدفقة المتجددة ، الموارة بالحركة ، ملازمة للمشكلات ، بل الحرج في موقف المسلم المعاصر من مشكلات حياته وفي موقفه من الحلول المقترحة لها . ثم فيما يخلفه فيه موقفه منها ومن حلولها من تمزق نفسي يشل قدرته على الكفاح في مجالات الحياة الكبرى .

- ١ -

لقد انفتح المسلم المعاصر على الحضارة الحديثة وهو يمر في فترة

من أسوء الفترات في تاريخه . وكأن الاخطاء والانحرافات التي وقع فيها الانسان المسلم في الفترات السابقة قد تجمعت ، وتلاقحت لتلد نتاجها البشع ، وتعطي نتيجتها الفاجعة في هذه الفترة الأخيرة من تاريخ هذا الانسان ـ التي انفتح فيها على الحضارة الحديثة ـ وفيما أعقب هذا الانفتاح من مآس وكوارث .

كان قد آل أمره من الناحية النفسية الى أن يقف من الحياة واحداثها الكبرى موقفاً سلبياً ، انفعالياً ، وبذلك لم يعد هو ذلك الانسان الذي يوجه الحياة ، ويصنع التاريخ ويتحكم بالأحداث وانما غدا إنساناً متخاذلا ، منهاراً ينظر الى العمل الايجابي البناء بهلع ورعب ويتوهم أنه يحل مشاكله بالفرار منها ، بدلا من مواجهتها والثبوت أمام تحدياتها .

وإذا شئنا تفسيراً منطقياً لهذا الانهيار لم نجد له تفسيراً سوى انحسار الاسلام عن المجتمع الاسلامي ، وعدم تطبيقه ، على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي للحياة الاسلامية بسبب انحراف الحكام الذين ألقت المقادير بين أيديهم مصائر المسلمين ، وتحول الاسلام في ضمير الفرد المسلم بسبب تيار التصوف الشاذ الذي يحمل وزر تشويه الاسلام الى حد كبير ـ الى أن يكون عملية استبطان ، وتمعن في الذات ، وتأمل فيها وانطواء عليها ، بدل أن يكون نشاطاً حياً يتدفق من الذات الى العالم .

وإذ كف الانسان المسلم - بسبب هذا الوضع الفاجع الناشيء عن ظروفه السياسية والاجتماعية في عالمه الخارجي ، وعن حالته النفسية في عالمه الداخلي - عن أن يتفاعل مع مبادىء الاسلام ، كفت هذه المبادىء العظيمة عن ان تعمل عملها في حياته . . وقد انعكس هذا الانفصال بين الانسان المسلم وبين مبادئه الاسلامية على الحياة الواقعية في صورة تخلف اقتصادي واجتماعي مريع ، فالموقف السلبي من الحياة والفرار من تحدياتها قعدا بهذا الانسان عن أن ينمي الاكتشافات العظيمة التي اهتدى اليها اسلافه الرواد في ميدان المعرفة والتطبيق فجمد عن التطور في المجال الحضاري حيث توقفت مبادىء الاسلام عن صياغة الحياة الاسلامية من تاريخ هذه الحياة . وهذه العلة هي التي سببت له التخلف الاجتماعي والاقتصادي .

هذه هي الظروف النفسية والحياتية التي انفتح بها الانسان المسلم على الحضارة الحديثة . حضارة عدوانية ذات رغبة عارمة بالتسلط الوحشي ، وفي أوج قوتها وعنفوانها وانسان في أقصى حالات ضعفة وانهياره النفسي والمادي .

وقد نبهه احتكاكه المفاجيء بهذه الحضارة على مشكلاته التي كان يغضي عنها ، ويفر منها ، وكون له مشكلات جديدة لابد من حلها . . وهنا ولدت مشكلته الكبرى .

لقد فرضت هـذه الحضارة الغالبـة على المسلم المعاصر حلولها لمشاكله ، وقدرته على ان يأخذ بهذه الحلول ، وان يطبقها وان يتقبـل معها وجهة النظر التى صاغتها . ولسنا فى حاجة الى التأكيد على ان هذه الحضارة لم تستوح في حلولها مصلحة الانسان المسلم وانما استوحت مصلحتها هي واهدافها هي قبل كل شيء . ومن مصلحتها ومن اهدافها ان تميت فى هذا الأنسان حس الحياة الحرة الكريمة ، وان تسكت في هذا الأنسان كل نأمة تدعوه الى الحركة والتفتح ، وان تحيله الى كائن متصرف كما تريد : ينتج ما تريد ، ويأخذ ما تشاء ، ويدع ما لا تشاء . وقد تقبـــل الانسان المسلم كل ذلك بالتسليم . . وماذا يصنع إنسان عالمه الداخلي متهافت ، وعالمـــه الخارجي منهار . . ولكنه مسلم يؤمن بالاسلام ، الدين الذي يخالف فى كثير أو قليل هذه الحلول التي فرضت والذي يخالف دائما وجهـة النظر التي صاغت هذه الحـلول . إلا أن الاسلام الذي يؤمن به هذا الانسان إسلام غائم . ملفع بالضباب مستبهم الحدود ، غير بين المعالم ، ومن هنا فهو لا يعي قدرة الاسلام العظيمـة على أن يحل المشاكل التي ترهقه وتضنيه ولا يعي قدرة الاسلام على ان يغني الحياة الانسانية المجدبة ، وان يذكيها بعد خمود ، ويبعثها بعـد

همود . وسبب ذلك ان الاسلام لا يزال في ضمير الانسان المسلم دين الطقوس والتصوف والشطحات . . فان الاستعمار لم يصحح الفكرة الخاطئة عن الاسلام وإنما زادها ضلالا ، لادراكه ان الاسلام الحق عدوه ، وان في الاسلام الحق حتفه ، وانحساره عن هذه الرقعة من الارض وعن هذه الطوائف من الناس .

إن المسلم المعاصر يؤمن بالمثل العليا التي صاغها الاسلام ولكن الايمان بالمثل العليا وحده لا يكفي للوصول اليها وإنما لابد ان تصاغ الحياة الانسانية وفق المبادىء الكفيلة بان تجعل من هذه المثل واقعاً حياً معاشا ان المبادىء هي الوسيط بين الانسان وهذه المثل والانسان المسلم فاقد للايمان الحي بهذه المبادىء لانه لا يدركها بوضوح ولا يتبين معالمها وحدودها ولا يعي قدرتها العظيمة على ان تسوقه نحو واقع عظيم .

وعلينا ان ننبه هنا على أمر بالغ الخطورة وهو ان تطبيق مبادىء الاسلام قبل ان يتحكم الاستعمار في بلاد الاسلام كان ـ بالاضافة الى ضلال الحاكمين وانحرافهم ـ ناشئاً عن الغفلة وعن عدم ادراك الدين الاسلامي على وجهه الصحيح أما الآن فان الاستعمار يبذل كل جهوده في سبيل ان يجعل رفض تطبيق الاسلام عند المسلمين نتيجة تفكير واع يقوم على وعي مزور لوظيفة الدين .

وهكذا غدا الانسان المسلم ممزقا بين واقع لا يؤمن به وبين

مثل يحبها ويؤمن بها ولكنه لا يملك اداة تحقيقها في واقعه والواقع الذي يملكه يحارب هذه المثل ويعاندها ويعمل على محقها .

- ٣ -

وهو الموقف النفسي الذي يجعل المسلم المعاصر مأساة ينعكس بكل حدته وعنفه على واقع الحياة الاسلامية فالانسان المسلم - بسبب من مثله - يكافح الافكار الدخيلة التي يراد فرضها عليه ولكنه - بسبب من عدم إيمانه بمبادىء الاسلام - عاجز عن إنشاء افكار مماثلة في التنظيم تستطيع الثبات للتيار الجارف فهو اذن يعيش في عالم لا تصله به جذور عقائدية ولكن شدة احتكاكه بهذا العالم تزيد من تفتح عينيه على مشهد لا يسره مشهد التفرق العظيم المتزايد باستمرار خارج نطاق عالمه الاسلامي مقارنا بتخلف العالم وانهياره وهذه الرؤية تنعكس في دخيلة نفسه في صورة إدراك مزور لعلة التخلف في العالم الاسلامي يرجعه الى هذه المثل التي يتشبث او - في احسن الفروض - تنعكس هذه الرؤية في نفسه في صورة حيرة مضنية وشك في صحة تشبثه بهذه المثل اما سبب هذا الادراك المزور وهذه الحيرة فهو الطوفان الفكري المخدر الذي ما فتىء يغمر الانسان المسلم منذ تسلط الاستعمار على بلاد الاسلام ويوحي اليه بان الاسلام هو علة تخلفه وانهياره ويعميه عن ادراك السبب الرئيسي لتخلفه وهو فقدانه للايمان الحي بمبادىء الاسلام

وقدرتها العظيمة على انتشاله من الدرك الذى هو فيه . . ومن هنا ينحرف بعض من بلغ التأزم النفسي فيهم اقصاه نحو العلانية ومن ثم يعيشون المأساة فى صورة اخرى وتبقى الكثرة الفقيرة موزعة بين الواقع والمثال . .

وإذن فليس الحرج فى كون المسلم المعاصر يعاني من مشكلات بل الحرج فى موقفه من هذه المشكلات وفي موقفه من الحلول المقترحة لها ثم فيما يخلفه فيه موقفه منها ومن حلولها من تمزق نفسى يشل قدرته على الكفاح في مجالات الحياة . . وهذه هي مشكلته الكبرى .

- ٤ -

اما حلها فكان في تصحيح موقفه من مشكلاته ومن حلولها المفروضة عليه وإشعاره انه ليس ضائعاً بل هو انسان يملك حلولا لمشاكله لا تتنافي مع مثله بل اكثر من ذلك انها تنسجم مع هذه المثل واذن فهذه الحلول المفروضة عليه المضادة لمثله العليا حلول ضالة يجب رفضها والتخلص منها ، واذاً فهو ليس إنساناً ضائعاً ، بل هو انسان يعرف نفسه ، ويعرف مصيره ويجب ان يعمل من اجل هـذا المصـير .

إذا حصل الانسان المسلم على هذا الادراك صحح موقفه من مشاكله وفى هذا الادراك خلاصة الوحيد .

أما سبيل الحصول على هذا الادراك فهو الكشف عن مبادىء الاسلام العظيمة التي طال جهل المسلم بها، وبعده عنها، وعدم تعرفه عليها، وتوضيح مدى ما تملك هذه المبادىء من قدرة على حل مشاكل الانسان المسلم التي يعاني منها وما تحتويه من امكانيات إخصاب حياته، ودفعها في اشراط التقدم الذي يعاني المسلم مركب نقص حاد بسبب عجزه عن مجاراته، والابداع فيه . . وعندئذ لا يعود الانسان المسلم انساناً ضائعاً، يشعر انه معلق بالفراغ ومقذوف في عالم غريب، وانما يتوفر لديه حينئذ الشعور بفن شخصيته، وبالوشائج التي تشده الى الحياة وبالدوافع التي تبعثه نحو المساهمة فى صياغتها على هدى من مثله العليا ومبادئه العظيمة . . ويتوفر لديه حينئذ الحس التأريخي، ولا نعنى بذلك انه حينئذ يعي انتصارات المسلمين الاولين مجردة من اسبابها فان ذلك لا يعود عليه بغير الدوي الذي يحمله على الاغفاء وانما نعني بذلك انه يعي بحرارة وقوة اسباب هذه الانتصارات . . يعي ان المبادىء العظيمة التي صنعت للمسلمين الأولين حاضراً عظيماً لا تزال قادرة على ان تصنع للمسلم المعاصر هذا الحاضر العظيم شريطة ان يعيشها ولا يفكر فيها فقط فقد بدأت مأساة الانسان المسلم يوم غدا يفكر فى المبادىء دون أن يحياها وان تمهد للمسلم المعاصر سبيل الحصول على هذا الادراك رسالتنا.

« يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » .

يطالعنا ونحن بصدد شرح ما تهدف اليه هذه الآية الكريمة السؤال التالي :

ما هو المعنى الذي تشير اليه كلمة (السلم) في الآية الكريمة ؟ .

وعند ما نحاول ان نلقى نظرة تحليلية على هذه الكلمة ينبغي ان نذكر كل الاحتمالات التي تكتنفها .

فقد تعني السلام الذي يقابل معنى الحرب وقد تعنى الاسلام كعقيدة وهي الايمان بالله سبحانه وتعالى وقد تعنى شيئاً ثالثاً هو الاستسلام التام لله والخضوع الكامل فى كل شؤون الحياة .

ولا يمكن ان يسايرنا في بحثنا من هذه الاحتمالات الثلاثة غير الاحتمال الثالث فقط . فليس بامكان الاحتمال الأول ان يثبت امام النقد ، عندما نعرف ان كلمة السلم - بكسر السين - ليس من معناها اللغوى السلام ، وقد تطلق على السلام مجازاً لما يعنيه السلام ايضا

الاستسلام والرضا والقبول . هذا مع ان السلام ليس إلا واقعة لها حكمها الشرعي المختلف باختلاف الظروف والأجواء التي يمر بها الاسلام في جهاده لاقامة كيانه فقد تقتضي بعض الظروف وجوب السلام ، كما يشير اليه قوله تعالى (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا .) .

وقد تدعو بعض الظروف الأخرى الى حرمة السلام كلما يشير الى ذلك قوله تعالى (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون .) والسلام في هذا كبقية الوقائع الاخرى التى اعطى الاسلام رأيه فيها . واذا كان بهذه الصفة فلا مجال لأن يصدر الامر القاطع بالدخول في السلام دون ان يقيد بحالة خاصة أو ظرف مناسب .

والاحتمال الثاني هو الآخر لا يثبت للنقد ايضاً . فان ملاحظة الآية الكريمة بدقة تشهد : بان الكلمة لو كانت تعنى الايمان بالله سبحانه وتعالى لم يوجه الخطاب للذين آمنوا على الخصوص ، حيث لا معنى لدعوة المؤمنين بالاسلام الى الدخول فى الاسلام .

* * *

والآية بعد هذا كله تهدف الى معنى سام ، ونقطة ضرورية بالنسبة الى مصير الاسلام ، تتجلى حين نقف عند كلمة (ادخلوا) فانها تعنى ان السلم ليس إلا كياناً متميزاً تطالب في الدخول فيه وليس هو

صفة نفسية شخصية يقوم بها الفرد المؤمن منفصلا عن بقية المؤمنين .

فهي إذن تدعو الى اقامة كيان محسوس يتميز بالاستسلام والخضوع للخالق وتسليم القيادة العملية له واعطاء السلطات التى يقوم المجتمع على اساسها بيده هذا الكيان الذي يعبر تعبيراً حقيقياً واضحاً عن الكيان الاسلامي ، الذي بعث النبي محمد (ص) لاقامته ودعوة البشرية للحياة في ظلاله واكنافه .

فلا يريد القرآن الكريم من المسلم المؤمن بالله سبحانه وتعالى الاستسلام والخضوع الشخصى له فحسب ، وانما يريد منه بعد كل هذا ان يكون عاملا من اجل اقامة الكيان الاسلامى ، الذي يتميز بطابع الاستسلام والخضوع للخالق وهو بعد هذا يطالب المسلمين جميعاً للانخراط ضمن هذا الكيان الواحد المستسلم . فليس هناك استسلام حقيقي اذا كانت هناك كيانات متعددة .

* * *

والقاعدة الاساسية شيء ضروري وجوهرى لكل مجتمع يريد لكيان التماسك والبقاء ، ويهدف الى الرفاه والسعادة والعزة . ذلك لأن القاعدة الاساسية هي المحرك الصميمي يمد المجتمع بالحيوية والنشاط وهي التي تحفظ للمجتمع وحدته وتماسكه ، وهي تكون نقطة لكل الاعمال فيه وهي ـ بعد كل هذا ـ العنصر الذى يحتل مركز الحارس للمجتمع

عن الانحراف والتردى ، والخروج عن الاهداف والخطوط التي يرسمها ويعمل لاجلها .

والاسلام يؤكد هذه الحقيقة تأكيداً عملياً فيضع الايمان بالله سبحانه وتعالى قاعدة اساسية لهذا الكيان الذى يدعو الى الدخول فيه اذ الاستسلام في جوانب المجتمع متفرع عن الايمان به والاعتقاد بربوبيته ولذلك دعا المؤمنين خاصة الى الدخول في السلم مشيراً ان الايمان هو الشرط الضرورى لهذا الكيان الذى يدعو الى اقامته والدخول فيه ، القاعدة الاساسية له .

* * *

والكيان الاسلامي الذى يقوم على قاعدة اساسية له ، هي الايمان بالله والاعتقاد الكامل بالوهيته ويغمر جوانبه الاستسلام والخضوع له وتسليم القيادة العملية الحضارية بيده ان هذا الكيان هو الكيان الوحيد الذى يمكنه ان يؤدى الدور الانساني المجيد ويكفل للبشرية المتردية الحياة السعيدة والرفاه الاجتماعي والعزة والمنعة والكرامة . وهو وحده الذى يقدر ان ينتشلها من وهدة الرذيلة ويخلصها من براثن الشك المرير الذى تعانيه جراء ما يكتنفها من ظلام الفراغ الروحي والعقيدى ، وما يحوطها من قلق نفسي هذه الادواء التي جرت بعض المجتمعات المدنية الحديثة الى التوغل الفضيع في متاهات اللذة السافلة والانحرافات الجنسية

والسيكولوجية وانتشرت بسبب ذلك الامراض العصبية بشكل هائل حتى كادت ان تكون هي الطابع المميز لها وانهارت الاسرة الى الحضيض .

فلم يكفل لها العلم الذى كانت تعقد عليه الآمال الجسيمة وترى فيه الرؤى الطيبة . شيئاً من ذلك بعد ان لمست اخطاءه بيدها ووجدتها جلية واضحة فى حضارتها التي تعاني امراضها واسقامها . فمهما توسلت المدنية الحديثة الى استنباط وسائل الراحة والاستقرار ومهما تفنن العلم الحديث في اصطناع السعادة . فهو لا يمكنه ان يكفل الانسانية استقرارها النفسي أو ان يحل تعقد حياتها الاجتماعية او يخلق لها الركيزة النفسية التي تلجأ اليها .

اذن فالانسانية بحاجة الى مثل اعلى تركن اليه وتهدف الى تحقيقه ويكون الى كل هذا هدفا صالحاً صحيحاً في متناول يدها انها بحاجة الى هذا المثل الأعلى بعد ان فشلت فى مثلها الأعلى الذي وضعته امامها حضارة القرن العشرين بل و بعد ان شقيت بهذا المثل الأعلى وعابت على يده المصائب والآلام فقد جعلت الحضارة المادية الحديثة مثلا اعلى للانسانية يتمثل في اللذة الحسية ووفرة الانتاج وكثرة الارباح . إلا ان هذا المثل لم يحقق لها شيئاً من سعادتها المنشودة وحلمها الجبار وأملها المضيء .

وليس امامنا مثل اعلى يلائم الانسانية ويكفل لها السعادة

والاستقرار ويخلصها مما تعانيه من ادواء واسقام وينتشلها من براثن الشك والفراغ العقيدى ويربط كيانها بجميع جوانبه وجهاته ربطاً صحيحاً متينا . . ليس امامها غير الكيان المستسلم هذا الكيان الذى دعى الاسلام لاقامته فالاستسلام لله سبحانه وتعالى يجعل من الانسان قوة خلاقة ومادة صلبة وكائناً فعالا يتحكم فى اللذة والانتاج ويسير بها نحو مستقبل أفضل وحياة سعيدة (او من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) صدق الله العلى العظيم .

رسالتنا في عصر الامام الصادق (ع)

إن ما يجعل لهذه الذكرى دلالتها الخاصة بالنسبة الينا هو هذا الشبه العظيم بين عصرنا الحاضر وبين عصر الامام الصادق عليه السلام فهي ليست ذكرى نجدد فيها ولاءنا وتمسكنا بمبادىء هذا الامام العظيم ومبادىء آبائه الميامين عليهم السلام فحسب، وإنما هي ذكرى تعيد الى اذهاننا صور الكفاح المر الذي خاضه الامام الصادق عليه السلام في سبيل حماية الاسلام من حملات اعدائه، والمحافظة على صفائه ونقائه، وعلى هذا فيجب أن تكون حافزاً لنا على الاستمرار في كفاحنا المعاصر في سبيل الاسلام ضد اعدائه ومحرفيه.

لقد كان عصر الامام الصادق عليه السلام عصر فتن وأهواء: فتن هوج مزقت المجتمع الاسلامي وقذفت به في حروب ومنازعات شتى. واهواء مضللة تسللت: الى عقول بعض المسلمين فبثت فيها الشك والشبهات حول الاسلام ومبادئه العظيمة.

فلقد استغل اعداء الاسلام والدخلاء فيه اضطراب المسلمين واضطرابهم وتفرق كلمتهم وتشتت جمعهم، فبثوا في المسلمين مبادىء

الغريبة عن الاسلام ونشروها فى صفوفهم وقد التقط المسلمون كل ما ألقي اليهم دون تفكير ودون تدبر فانتشر الشك بينهم انتشار الوباء وغدا بدعة من هذه البدع التي يغرم المتعالمون بالتظاهر بها والتحدث عنها، وطلب الشهرة عن طريقها .

* * *

وقد حمل الامام الصادق عليه السلام أعباء الكفاح الديني فى عصره المضطرب الحافل بشتى الفتن والبدع والأهواء وبقي صامداً فى كفاحه حتى اغتالته قوى الشر في زمانه .

فلقد كافح طغاة عصره من خلفاء وولاة ومتنفذين، فلم يقف منهم موقفاً ليناً وهو يراهم يحرفون احكام الاسلام فيظلمون الرعية ويستهترون بمقدرات الامة ولا يرعون فى افعالهم إلا ولا ذمة بل كان يكافحهم بلسانه ويدعو الامة الاسلامية الى ان تطبق المبدأ الاسلامى العظيم : مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك ليشعر الحاكمون الظالمون فى زمانه برقابة الأمة ووعيها .

وكافح الفهم المزور للدين الاسلامي الذي يجعل منه رفضاً للحياة الدنيا، وتخلياً عن العمل فيها، ونبذاً لمتعها ومباهجها . فشرح عليه السلام فى بيانات عظيمة حفظتها لنا كتب الحديث موقف الاسلام من الحياة الدنيا، وحثه على العمل لها والاستمتاع بها في حدود ما

شرعه الله تعالى فى الدين الاسلامي .

وحمل عليه السلام راية الكفاح الديني الاسلامي ضد حركة الزندقة والالحاد التي شاعت في عصره ، والتي نشرها اعداء الاسلام بين المسلمين لأجل اضعافهم ، وعزل الاسلام عن حياتهم تمهيداً للسيطرة عليهم ، والتحكم فيهم .

وقد نهض الامام الصادق عليه السلام لمقارعة اهل الباطل وباحث الفلاسفة والدهريين واهل الكلام والجدل الذين جعلوا همهم الاكبر تضليل المسلمين ، وتشكيكهم في عقائدهم فابطل بحكمته مقالاتهم الفاسدة وسفسطتهم الفارغة ، وأوضح لهم اعوجاج مذاهبهم والتواء سبلهم ودعاهم الى كلمة الحق وجادلهم بالتي هي احسن ، وقد حفظت لنا كتب التأريخ كثيراً من مناظراته مع هؤلاء الضالين المضلين .

كما انه عليه السلام قد أوجه أصحابه والبارزين من طلاب مدرسته العلمية ـ على قدر كفاءتهم ومقدرتهم ليخوضوا تلك المعارك الفكرية ويقفوا في وجه تيار الضلال الذي قاده اعداء الاسلام والدخلاء فيه ، وقد كانوا خير معين على الكفاح الذي اضطلع به الامام الصادق (ع) وقد كان هو المصدر الأول والمنتهى الأخير لما كان يقوم به صفوة اصحابه في ميدان الكفاح العقائدي .

هذا كله الى جانب قيامه صلوات الله عليه باعباء منصب الامامة الكبرى

والخلافة العظمى ، المنصب الذي يجعل منه مصدراً للتشريع الاسلامي .

* * *

هذه ملامح من الكفاح الذي نهض باعبائه الامام الصادق (ع) والذي يجب أن يكون حافزاً لنا على الاستمرار في كفاحنا المعاصر في سبيل الاسلام ضد اعدائه ومحرفيه فان هذا الوباء العقائدي الوافد والذي يهدد الاسلام والمسلمين هو ما نعاني منه في عصرنا الحاضر . ولسنا بحاجة الى التأكيد على أن المسلمين اليوم يواجهون طوفاناً من هذه العقائد والافكار المنحرفة عن الاسلام والتي يستهدف أعداء الاسلام من ورائها تجريد المسلمين من العقيدة التي تعصمهم من التردي والانهيار .

وقد مهد لانتشار هذه الافكار الدخيلة في بعض الاوساط الاسلامية ما يعانيه المسلمون اليوم من فراغ عقائدي ظهرت معالمه واضحة على الحياة الاسلامية في العصور الأخيرة فقد غدا الاسلام عند المسلمين اسماً فقط ، إسماً لا صلة له بواقع الحياة ومناهج السلوك . اسما إن وجد له مظهراً في علاقة المسلم بربه فانه لا يجد مظهراً في علاقة المسلم باخوانه في الدين واعدائه في الدين وفي مسائل الحياة الكبرى .

لقد صادفت مبادىء الضلال هذا الفراغ العقائدي وهو الذي هيأ لها فرصة الشيوع والانتشار في بعض الأوساط الاسلامية .

والفراغ العقائدي مظهر من مظاهر البعد عن القيم الاسلامية

التي يجب أن يقوم عليها موقف الانسان المسلم من الكون والحياة والانسان ومشاكله . وقد افلح اعـداء الاسلام بما اوتوا من سلطان سياسي وعسكرى على حياة المجتمعات الاسلاميـة فى ان يعزلوا هـذه المجتمعات عن ايحاءات الاسلام وعن مبادئه وقيمه ، وأن يوجهوا الحياة الاسلاميـة وفقاً لافكار ومبادىء لا تمت الى الاسلام بصـلة ولا تلتقى معه على صعيد ، وبذلك انقطعت الصلة الحسية بين الاسلام وبين المسلمين ولم يعد له ظـل على واقع حياتهم ، فكان الفراغ العقائدى ، وكان الوباء .

هذا هو الواقع العقائدى الذى يعيش فيـه العالم الاسلامى فى هذه الايام وهو شبيه بما كافح الامام الصادق ع) في سبيل تبـديله بواقع اسلامي حقيقى .

وقد نهج الامام الصادق وآباؤه الطـاهرون وابناؤه المصطفون صلوات الله عليهم جميعاً للمكافحين فى سبيل الله من بعدهم : النهج السليم فى الدعوة الى الله وهو النهج الاسلامي الانساني ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) .

ونحن ـ بعون الله ـ على هديهم سائرون .

يوجد فى المثقفين المسلمين من يستغرب الحديث عن (شخصية اسلامية ، ويتساءل عما اذا كانت ثمة شخصية للمسلم نابعة من الاسلام وحده ، شخصية مستقلة فريدة تستحق أن تكون موضوعا للبحث والتحليل . لا يستغربون الحديث عن شخصية عربية ، أو ايرانية أو هندية ولكنهم يستغربون الحديث عن شخصية اسلامية .

وهذا ليس إلا مظهراً من مظاهر الوباء العقلي الذى استشرى في شبابنا الناشىء بسبب انقطاع الصلة الحقيقية بينه وبين الاسلام ، واقتصاره على الافكار الغريبة في غذائه العقلي .

فان الاسلام عقيدة شاملة ، نظمت حياة الانسان فلم تهمل شأناً من شؤونه ، ولم تغفل جانباً من جوانبه وعقيدة لها هذه الاحاطة وهذا الشمول لابد وأن تطبع بطابعها المعين داخل معتنقها ومظاهر سلوكه ولابد ان تصوغ وجوده وفقاً لمعطياتها الخاصة . وعلى هذا فمن الغريب ألا تكون ثمة شخصية اسلامية مستقلة فريدة .

وحيث اننا لا نستطيع فى هذه العجالة أن نقدم تحليلا شاملا نستقصي فيه جميع عناصر الشخصية الاسلامية ومكوناتها نكتفي الآن

بعرض بعض خطوطها الكبرى على ان نبسط القول فيها فى فرصة اخرى ان شاء الله تعالى .

* * *

إن الانسان المسلم يعبر عن وجوده الخاص بالتعامل مع الله جل جلاله بما يملك من قدرة روحيـة ، وبالتفاعل مع الكون بما يملك من قدرة عقلية وفكرية ، وبالتفاعل مع المجتمع بما يملك من اخلاق . وهذه العناصر الثلاثة · الروح والعقل والخلق . عناصر اساسية في الشخصية الاسلامية ولا يمكن ان توجد شخصية اسلامية خالية عن هذه العناصر أو عن بعضها . فلابد من عقل حي ، متفتح ، ولابد من خلق عال نموذجي . ولابد من روح شفاف نظيف لاجل ان توجـد الشخصية الانسانية النموذجية . وهذا هو ما سعى اليه الاسلام وعنى به : صياغة نموذج للانسان يتمتع بهذه القوى : عقل يتفاعل به مع الكون المحيط به وخلق يتفاعل به مع المجتمع وروح تصله بالله الخالق البارىء المصور .

ومن الواضح أن هذه القوى الثلاث في شخصية الانسان المسلم ليست متحاجرة ، بل هي متفاعلة فيما بينها ومتكاملة .

والانسان الذي استقر وجوده الخاص على هذه الأسس الثلاثة الكبرى إنسان يعبر بسلوكه فى الحياة اليوميـة وتعامله مع الآخرين عن مبادئه الأخـلاقيه فليس ثمة في وجود هذا الانسان انفصال بين

السلوك الواقعي وبين المبادىء كما هو المشاهد في الانسان غير المتكامل .

فان الشخصية النابعة من اعتناق عقيدة تحـــدد الطريق وتضع الحلول ، وتدفع الى العمل تجعـل لكل شخص إنساني وجوداً فريداً متميزاً لا شريك له فيه ، وتهب له الغنى الداخلي والخصب الباطني ، ومن هنا يكون هو الذي يملك الواقع ويصوغه ، ولا يمتلكه ويستبد به والانسان المسلم يستطيع أن يكون (شاهداً على الناس) بهذا المعنى : ان الشاهد يجب ان يكون قادراً على الانفصال عن المشهود ، وعلى مراقبته وترصده ، ونقده . فلابد من أن تكون له حـدود تعصمه من الانهيار والذوبان الذي يفقده شكله الخاص وقوامه الخاص .

* * *

وعاقبة انحلال الشخصية وانعدامها لدى الانسان الفرد هي عدم قدرته على صنع مصيره ، وعجزه عن المساهمة فى صنع مصير الآخرين . فان الانسان الفاقد للشخصية مستغرق فى العالم الذي حوله مستعبد له ، مملوك للواقع المادي والبشري الذي يحيط به إنه انسان مجروف بالتيار الذى لم يشارك في صياغته . وعاقبـة انحـلال الشخصية لدى المجتمع هي عجزه عن ابتداع نموذج حضارى مشتق من مفاهيمه عن الكون والحياة والانسان ، وصيرورته ـ في المجال الحضارى ـ عالة على قوى حضارية غريبة عن روحه ، فيقتبس منها ما قد يزيده بعداً عن مفاهيمه الخاصة

ويزيده عجزاً عن تحويلها الى واقع عياني معاش .

وهذا هو الوضع الذى يعاني منه المسلم المعاصر . فانه فاقد للمقومات الاساسية لشخصيته الخاصة : الشخصية النابعة عن الاسلام ومن هنا فهو عاجز - في حدود واقعه الحاضر - عن ابتداع نموذج إسلامي للحضارة ، وهو من ناحية اخرى مرغم على الاقتباس من انموذج الحضارى السائد في العالم مما قد يزيده بعداً عن الاسلام وعجزاً عن تحويل مبادىء الاسلام الى واقع حي .

وثمة نتيجة سيئة اخرى لانحلال الشخصية الاسلامية لدى المسلم المعاصر تظهر لنا بجلاء اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الوجود الاسلامى في العالم ليس محصور اضمن نطاق جغرافى أو عنصرى خاص ، وانما هو ممتد في أطر جغرافية وعنصرية كثيرة . ومن شأن الشخصية الاسلامية لو وجدت ان تحدث تياراً فكريا نوعياً يتغلغل فى جميع المجتمعات الاسلامية في العالم مما يجعل الوجود الاسلامي ذا مظهر موحد متجانس ، فذ ، أما والشخصية الاسلامية غير موجودة فان الحاصل بالفعل هو تيارات فكرية نوعية لكل مجتمع اسلامي منها وحده وهذا الواقع يخلق بين المجتمعات الاسلامية تحاجزاً شعوريا داعياً يجعل ثمة عوالم إسلامية متحاجزة وراء قيود وهمية ، صنعتها بنفسها ، ولا يعترف بها الاسلام .

هذا ، وعلى الرغم من تآزر جميع القوى المعادية للاسلام على حربه والنيل منه ، وجدها فى تفريق كلمة المسلمين ، وتفتيت وحدتهم ، لا تزال توجد فى مختلف البلاد الاسلامية ذبالة لهذه الشخصية الاسلامية ممثلة في بعض المسلمين الواعين الذين لم تقو الافكار الدنسة على تلويثهم . وإن على العاملين على الصعيد الاسلامي في المجال الفكرى ان يجعلوا اكبر همهم إحياء هذه الشخصية ، وبعثها في اكبر عدد ممكن من المسلمين .

دستورنا ونظام العبادات

خلق الله الانسان وخلق معه غرائزه وميوله الأصيلة المشتقة من طبيعة تركيبه العضوى والنفسى ، وهذه الغرائز والميول المركوزة فى الطبيعة البشرية قد جندت كلها لهداية الانسان طبيعياً الى كمالاته ومقومات حياته وبدون تلك الغرائز والميول لم يكن ليحصل الانسان على الدوافع الطبيعية الى كمالاته ومقوماته . فهو حين يتغذى أو يقترب من بنات نوعه او يمتزج مع الافراد الآخرين في كيان موحد أو يقوم باى عمل غريزى آخر قد لا يجد نفسه مدفوعا الى ذلك العمل إلا بدافع اللذة التي يحصل عليها من ورائه ، ولكن الغريزة التي من وراء تلك الأعمال تحقق بنشاطها هذه الأهداف التي توخاها الخالق الحكيم من ايجاد تلك الغرائز في طبيعة الانسان . ولهذا صح ان يقال : ان الغرائز هي الهداية الطبيعية من الله للكائنات الحية التي تتمتع بتلك الغرائز .

غير ان وجود الغريزة في الانسان لا يكفل وحده اشباع الانسان لها اشباعا صحيحا بالطريقة التي تحقق بها الغريزة هدفها وتواكب

تكامل الانسان فى سائر مناحي الحياة الاخرى قد تشبع الغريزة اشباعا شاذاً يعيقها عن اداء رسالتها فى حياة الانسان اداء كاملا ويحول بينها و بين الكمال الذى اعدت لتحصيله ، وهذا الشاذ ينشأ تارة عن جهله الانسان بالطريقة الصحيحة لاشباع تلك الغريزة وينشأ تارة اخرى عن طغيان غريزة معينة على سائر الغرائز .

فالغريزة تتخذ مظاهر شتى وقد يكون كثير من هذه المظاهر العملية للغريزة مضراً بالمصالح الحقيقية للانسانية ، غير أن هذه المظاهر لا تنبع من الغريزة وانما تنبع من طريقة إشباع الغريزة .

وقد تتعارض طريقة الاشباع فى نتائجها ومضاعفاتها مع الحكمة المتوخاة من الغريزة نفسها .

* * *

ومن تلك الغرائز التي فطر عليها الانسان غريزة التدين التي اودعها الله تعالى في نفس البشرية لكي تسوقه الى كماله الروحي وتدفعه الى الفحص عن غذاء انسانيته الروحية كما تدفعه غريزة المعدة الى الفحص عن الطعام والشراب فغريزة التدين تعبر عن الدافع الاصيل فى الانسان الذى يغريه بالارتفاع الى افاق ارحب من نطاقه المادى المحدود ويفتح مشاعره على صلة روحية كبرى تتضاءل بين يديها كل صلات المادة وعلائقها وهي صلة الانسان بالخالق الحكيم ، صانع الكون ومدبره .

ولا يضير غريزة التدين ان يكون الانسان قد شذ احياناً في طريقة إشباع هذه الغريزة ، فنتجت عن ذلك اديان الشرك والوثنية التي تزود تلك الصلة الروحية الكبرى وتصطنع من صلاة الانسان بالمادة ، بالوثن والصنم أو غيرها من اجزاء الكون صلة عبودية وتأليه فان هذه الأديان وان ربطت الانسانية الى الأرض وقيدتها بالتراب بدلا عن ان ترتفع وتسمو بها في اتصال روحي اعلى وارفع ولكنها لا تعني على أى حال ان التدين ـ بمعنى ان الصلة الروحية بالله ـ ليس استعداداً طبيعياً وغريزة اصيلة في الانسان وانما تعني ان هذه الغريزة لم تشبع اشباعا صحيحاً ينسجم مع اغراضها واهدافها ، وانما صرفت الحاجة الغريزية الى التدين تصريفاً باطلا فتاه الانسان عن الصراط المستقيم .

فكل تلك الألوان التي استعملها الانسان في حياته الدينية منذ ان بدأت حياته الفكرية على وجه الارض تدل بوضوح على ان هناك في الانسانية ـ بمختلف اشكالها وفي مختلف اهوائها استعداداً طبيعياً لاستكناه واكتشاف صلة لها بقوة غيبية وراء الكون المنظور إلا ان هذا الاستعداد قد يوجد توجيها خاطئاً فيتجه الانسان الى تجسيد تلك الصلة الروحية والهبوط بالقوة الغيبية الى هذا الكائن أو ذاك من كائنات الارض والسماء فيخسر بذلك انسانية روحية ويفقد بالتالي

ثمراتها في حياته الخاصة والعامة .

* * *

واذا كان التدين غريزة وكان اداء كل غريزة لرسالتها وتحقيقها لحكمتها موقوفا على طريقة اشباعها فمن الطبيعي ان يهتم الاسلام بوصفه النظام القيم على الانسانية وغرائزها وسلوكها بتنظيم هذه الغريزة وتحديد محتواها الحقيقي وتعيين الاساليب الصحيحة في اشباعها .

فالمحتوى الحقيقي لغريزة التدين في نظر الاسلام هو شعور الانسان بالارتباط بخالق حكيم عادل عالم قادر جدير بالعبادة والحب والتقديس ، لأنه واجد كل كمال ومنبع كل رحمة .

واما اساليب اشباع هذه الغريزة وبمعنى آخر اساليب التعبير عن ذلك الارتباط وما يفرضه من خضوع وحب وتقديس فهي العبادات التي شرعها الاسلام ونظم بها وسائل اشباع غريزة التدين وحددها بالشكل الذي يحقق هدفها ويواكب الاهداف الخيرة لسائر الغرائز الانسانية دون ان يعتدى عليها او يفرط بشأنها .

فنظام العبادات في الاسلام لا يقر اشباع غريزة التدين على حساب الغرائز الأخرى اشباعا رهبانياً يقطع صلة الانسان بارضه وكونه ويكلفه باماتة كل النوازع الخاصة من نفسه كما لا يقر ايضاً ان تشبع غريزة التدين اشباعا مزوراً لحساب الغرائز والشهوات المادية التي تحاول

ان يمتهن التدين حتى تجعله مجرد علاقة اسمية للانسان بهذا الحجر أو بذلك الهيكل دون ان يخفق قلبه أو تتسامى روحه ما دامت تلك العلاقة تزيده الصاقا بالارض وشدة اليها .

وانما يقر الاسلام اشباع غريزة التدين بالشكل الذي يعبر تعبيراً صادقا عن محتواها الحقيقي ويركز في نفس الانسان صلته الروحية بخالقه ويجعله يستشعر هذه الصلة ويستوحي منها ويعتمد عليها في سرائه وضرائه ويستمد منها قوة الارادة وخلوص النية وطهارة الروح .

ومن الطريف حقاً في العبادات التي وضعها الاسلام للانسان انها توحي في كثير من الاحيان الى الانسان الشعور بالصغار والذلة امام الخالق وهو يقدم بين يديه آيات العبادة والتقديس ، ولكن هذا الشعور نفسه يمد العابد بقوة الارادة وروح الاستهانة بلذائذ المادة وغاياتها المحدودة ويملأه عزة واعتداداً بالنفس فهو حين يقول (الله اكبر) يسجل ضآلته امام هذه القوة المدبرة ويسجل في نفس الوقت ضآلة الكون كله بكل ما يزخر به من خلق بين يدي تلك القوة ويستشعر الغنى والترفع ما دام الى جانب القوة الكبرى يقدسها ويناجيها وهكذا فان العبادة استجداء ولكنه استجداء رفيع يحلق بالنفس ويرتفع بها عن استجداء ما في الكون ومن فيه من كائنات ، وإلا فمن يستجدي ما دام الله اكبر وما دام السبيل الى الله مفتوحا في كل حين

لا يكلفه شيئاً إلا ان يعترف بهذه الحقيقة وينادي بها في احرام الصلاة (الله اكبر) .

والعابد حين يصوم يحسن بالعبودية لتلك الكبرى التي فرضت عليه ان يمتنع عن اطايب الطعام ومختلف اللذائذ وهي بين يديه ولكنه في نفس الوقت يشعر بالانعتاق من سلطان المادة والتغلب على شهواتها والسيطرة على دوافعها ونوازعها .

والعابد حين يجاهد ـ والجهاد عبادة مهمة في الاسلام ـ يشعر بضآلة دمه وتفاهته وهو يقدمه متطوعا في معترك الحرب ويتنازل عنه الى مولاه ، ولكنه يشعر من ناحية اخرى بان ضآلة دمه بين يدي الله هي سر عظمته لأنه دم لا يجوز ان يسفك إلا في سبيل رسالة كبرى هي رسالة الله للانسانية لا تحقيقاً لشهوة طامع أو خدمة لصاحب سلطان .

وهكذا دائماً يربط العبادة الانسان بعبودية ترتفع به وتسمو ، وتنقذه من عبوديات تنحط به وتزري بكرامته وانسانيته .

* * *

وهناك ظاهرة اخرى في نظام العبادات في الاسلام هي ان العبادة كثيراً ما لا تقتصر مهمتها على اشباع غريزة التدين فحسب ، بل تلتقي بشتى النواحي من حياة الانسان وتصاغ في الاطار الذي يجعلها تخدم في اكثر من حقل واحد من حقول الحياة وذلك لأن

الانسان كل مترابط فمن المفهوم ان ترتبط وسائل كماله بعضها ببعض .

فالخمس والزكاة مثلا عبادتان اسلاميتان ولكنهما تؤديان رسالة مهمة في الحقل الاقتصادى والحياة الاجتماعية للانسان .

وصلاة الجماعة عبادة اسلامية وتنطوي فى نفس الوقت على تربية الانسان وتنميته على الاجتماع والاندماج بنشاطاته ضمن المجموع ليكون المؤمنون امة مترابطة .

واخيراً الحج العبادة الاسلامية الكبيرة التي يحتفل المسلمون في هذا الشهر من كل سنة بادائها والتقرب بذلك الى الله تعالى ليس اشباعا لغريزة التدين فحسب . وانما هو الى ذلك تربية روحية للانسان على مفاهيم الاسلام التي تقوم عليها الحياة الاسلامية من الوحدة والاخوة والمساواة .

فوحدة المقصد المادي حين يتجه المسلمون فى كل عام من مختلف اقطار الارض الى نقطة معينة ـ تعكس وحده الامة في اتجاهها الروحي وما يجب ان تكون عليه من وحدة في كل اتجاه .

ووحدة الزي التي تجرد كل اولئك المسلمين القاصدين من فروقهم المادية في ازيائهم وتساوى بينهم في ازار ورداء ـ تجسد في عيونهم المساواة الحقيقية وتعلن كيف ان الفوارق المادية التي تعتمد على الثروة أو المنصب تتلاشى كلها حين يقف العبيد امام ربهم ، لانهم انما يقفون

بين يدى الله ويحجون اليه بانسانيتهم لكي تزكو وتنمو لا بمعانيهم الأرضية وفوارقهم الصنمية .

واجتماع هذا الحشد الهائل في بقعة واحدة لاداء وظيفة واحدة يتيح لهم من التعارف والتقارب الروحي والفكرى وتوثيق عرى الاخوة ما لا يتاح لهم متفرقون .

الى كثير من هذه الاهداف التي يمهد الحج لتحقيقها أويجسدها في شعائره أو يوحى بها في موسمه الاجتماعي الكبير .

ولا ينقص تلك الاهداف وسموها شيئاً اذا لم تكن قد حققت في واقعنا المعاش لأن مرد ذلك الى طبيعة الظروف السياسية والفكرية والاجتماعية التي تكتنف الموسم فى تلك البلاد المقدسة لا الى الحج نفسه .

ولو ان المسلمين هيأوا لهذه الفريضة شروطها واجواءها وابطلوا المحاولات التي تجعل من الحج بالذات سبيلا للتفرقة والبغضاء بين المسلمين بما يجده المسلمون هناك من الوان التعسف والحكم الكيفى وبما يسمعونه دائماً من الاتهام بالشرك ومختلف التهم . . نقول لو ان الحج ادى على صعيد اسلامي وفى جو اسلامى صحيح لحقق رسالته واهدافه كاملة غير منقوصة ولوجد المسلمون في الحج مؤتمراً سنويا كبيراً يعقد دون جهد ودون دعوة خاصة ، يتذاكر فيه المسلمون امور دينهم ودنياهم ويبحثون مشاكل حياتهم وآمالهم والامهم .

الفهرست

ص	
٣	الشرط الاساسي لنهضة الامة
٨	رسالتنا والدعاة
١٣	رسالتنا يجب ان تكون قاعدة للعاطفة
٢٠	رسالتنا ومعالمها الرئيسية
٢٦	رسالتنا يجب ان تكون قاعدة
٣١	رسالتنا يجب ان تكون قاعدة للوحدة
٣٧	رسالتنا وواقع الامة الاسلامية
٤٢	رسالتنا خالدة متطورة
٤٩	رسالتنا انسانية عالمية (١)
٥٥	رسالتنا انسانية عالمية (٢)
٦٣	رسالتنا فكرية انقلابية
٦٨	رسالتنا والتاريخ
٧٦	رسالتنا ومشاكل الانسان المسلم
٨٤	رسالتنا
٩٠	رسالتنا في عصر الامام الصادق
٩٥	رسالتنا والشخصية الاسلامية
١٠	رسالتنا ونظام العبادات

7
4730

طبع

على نفقه عبد الحسين محمد علي البهبهاني

الثمن ١٥٠ فلساً

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ـ شارع السراي

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JAN.- FEB 1994
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 064952235